٢٤٣

HARLEQUIN

روايات احلام

لك إلى الأبد

ديبى ماكومبر

www.elromancia.com
مرمورية

لك إلى الأبد

كيف يمكن لامرأة فاشلة في الحب، أن تكتب عنه؟
وهل من مكان أفضل من روايات الحب تدفن فيه بايلي يورك آمالها المكسورة؟ على الأقل في الروايات، لا يموت الحب ولا يهرب البطل في اللحظة الأخيرة...

لكن هل هذا البطل موجود فعلاً في الحياة؟

سؤال حيّر بايلي حتى ظهر باركر داينرسون... كان جذاباً، قوي الإرادة، فخوراً... إنه بطل حقيقي... لكن المشكلة أنه يريد أن يكون البطل في حياتها، وليس فقط في روايتها.

www.elrmancia.com

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.
سوريا: ٧٥ ل.س.
الأردن: ١,٥ دينار
الكويت: ٧٥٠ فلس
الإمارات: ١٠ دراهم
قطر: ١٠ ريال

البحرين: ١ دينار
السعودية: ١٠ ريال
مصر: ٥ جنيه
المغرب: ١٥ درهم
تونس: ٢ دينار
عمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-076-1

روايات أحلام

مجلة قصصية أسبوعية

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية

محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

بترخيص خطي من *Harlequin Enterprises II B.V*

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال

تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة *Harlequin Enterprises II B.V.*

كل العلامات التجارية استعملت

بترخيص من شركة *Harlequin Enterprises II B.V.*

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:

My Hero

First published in Great Britain 1992

Harlequin Mills & Boon Limited

© Debbie Macomber 1992

Translation © Dar El-Farasha - 2002

ISBN 9953 - 15 - 076 - 1

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -

ص.ب: ٨٢٥٤/ ١١ هاتف/ فاكس: ٩٦١-١-٤٥٠٩٥٠- بيروت - لبنان

Email: dfarasha@cyberia.net.lb

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص

أسرة أحلام

www.elromancia.com

ديبي ماكومبر

كاتبة أميركية تعيش في ولاية «واشنطن». لديها أربعة أولاد، جميعهم في سن المراهقة، إضافة إلى عدد من الحيوانات الأليفة من بينها عدة قطط وكلب. بدأ نجم «ديبي» يلمع في عالم الكتابة منذ طفولتها، حين نسخ شقيقها دفتر مذكراتها وباعه. لكن قرّاءها ازدادوا كثيراً منذ ذلك الوقت!

تقول إنها كتبت رواياتها الأولى لأنها أغرمت بالروايات العاطفية وأرادت أن تكتب رواية خاصة بها. تحب ديبي أن تتواصل مع القرّاء.

يمكنكم أن تراسلوها على العنوان التالي:

P.O.Box 1458
Port Orchard,
Washington 98366,USA

١ ـ التحري الفاشل

رأت بايلي يورك، أن هذا الرجل هو مصدر متاعبها.. فهو لا يحتمل.. في المرة الأولى كان بارداً جداً، ومتباعداً.. وحدها امرأة شغوفة يمكن أن تقع في حبه.

بدا الرجل عادياً، تافه الشخصية.. وهو بلا شك بحاجة إلى تشكيل من جديد، لكن بايلي لم تكن واثقة من أنها تعرف كيفية ذلك.

لهذا، قامت بما هو منطقي.. استشارت كاتبة رومانسية زميلة. وكانت جو آن دايفس تستقل قطار الأنفاق معها كل يوم.. وهي صاحبة خبرة أوسع في مثل هذه الأمور.. لأنها تتعامل منذ أكثر من ثلاث سنوات مع رجال مثل مايكل.

وسألتها بايلي بلهفة حين التقيا في صباح يوم ممطر من أيام شهر كانون الأول قبل ركوب القطار السريع لمنطقة «سان فرانسيسكو باي»:

ـ حسن ما رأيك؟

هزت جو آن رأسها، ونظرتها مشفقة تماثل كلماتها: «أنت على حق، مايكل تافه».

ولم تستطع بايلي إلا أن تشعر بالإحباط.

ـ لكنني عملت جاهدة.

لقد عملت أشهراً، واستغلّت كل لحظة ممكنة. كما ضحّت بأوقات الغداء، وتخلت عن سهرات تلفزيونية، ونهايات أسابيع كاملة.. حتى عيد الميلاد اعتبرته إلهاء لها، وغني عن القول أن حياتها الاجتماعية

www.elromancia.com

انعدمت كلياً.

تمتمت بايلي، مع وصول القطار السريع إلى المحطة:

ـ لم يقل لي أحد إنّ كتابة الروايات الرومانسية صعبة بهذا الشكل.

توقف القطار، وانفتحت الأبواب لينزل ركاب على عجلة من أمرهم.

واتجهت بايلي إلى إحدى العربات وهي تسأل: «وماذا بعد؟».

لم تكن يوماً أكثر هدوءاً، وأحست أن قرارها لن يتزحزح ولن يتبدّل.

نصحتها جو آن: «عودي إلى البداية.. وابدئي مجدداً».

تأوهت بايلي: «مرة أخرى».

ونظرت حولها تفتش عن مقعد فارغ وتقدمت إلى الأمام، وجو آن تتبعها. وبعد أن استقرتا، ردّت جو آن مخطوطة القصة المهلهلة إلى بايلي.

فتحت الصفحات الأولى، تقرأ الملاحظات التي وضعتها جو آن في الهوامش. أول ما خطر لها هو أن ترمي المشروع كله في سلة المهملات، وتتخلص من بؤسها، لكنها كانت تكره الاعتراف بالهزيمة.. فهي لطالما كانت شخصاً مصمماً، ما إن تصمم على شيء، حتى يلزمها أكثر من أمر تافه مثل تحديد الشخصيات ليحبطها.

فكرت بايلي في سخرية هذا الموقف، امرأة فاشلة في الحب مثلها، تهتم بالكتابة عنه. ربما هذا هو السبب، ولعل هذا هو سبب حاجتها لبيع مؤلفها الرومانسي. فقد عاشت الحب الحقيقي مرتين، وتعذبت مرتين.. تعلمت درسها بالطريقة الصعبة. فمن الرائع أن تقرأ عن الرجال، وأن تتأملهم من بعيد، لكن حين يصل الأمر إلى التورط شخصياً في علاقة جادة، تهرب ببساطة، لأن الأمر لا يهمها... بل لم يعد يهمها.

أكدت لها جو آن: «الحبكة جيدة في الأساس، وكل ما تحتاجين إليه هو إعادة تشكيل شخصية مايكل».

لقد أعادت العمل على الرجل المسكين عدداً لا يحصى من المرات بحيث سيصعب على البطلة جانيس أن تعرفه. ولو لم تكن بايلي تحب

مايكل، لما توقعت أن يأسر قلب جانيس.

تابعت جو آن: «أفضل نصيحة أسديها لك هي إعادة قراءة القصص الرومانسية المفضلة لديك، ومراقبة وصف المؤلفة لبطلها».

أطلقت بايلي تنهيدة سخط، وهزت رأسها. يجب ألاّ تتذمر.. ليس بعد على أي حال، فهي لم تعش هذه التجربة إلا منذ بضعة أشهر.. على عكس جو آن التي تكتب المخطوطات منذ أكثر من ثلاث سنوات. لكن بايلي تظن أنه لن يلزمها هذا الوقت كله لتبيع كتاباً، لأن لديها وقت أطول من صديقتها للكتابة.. فجو آن متزوجة وأم لولدين صغيرين، كما أنها تعمل بدوام كامل.. سبب آخر دفع بايلي للتأكد من نجاحها، وهو أنها رومانسية.. الكل تقريباً، في جمعية الكتّاب التي تنتمي إليها يقول لها هذا.. وفي الكتابة الرومانسية، الطبيعة الحساسة هي عنصر هام على ما يبدو.

ولطالما صلّت بايلي لتكون أحاسيسها الرومانسية لامعة وملفتة.. وقد كانت كذلك، باستثناء مايكل الذي بدا مصرّاً على التسبب لها بالمتاعب.

لطالما كان الرجال لغزاً محيراً بالنسبة لها.. لذا من غير المنطقي أن تتوقع أن يختلف الأمر الآن.

وأكملت جو آن مفكرة: «أمر آخر قد يساعدك..».

ـ ما هو؟

ـ نشرت وكالة الكتّاب مؤخراً كتاباً حول تشكيل الشخصيات.. ولقد قرأت مقالة عنه، وحسبما أذكر، يدّعي المؤلف أن أفضل وسيلة للتعلم هي المراقبة.. بدا لي الأمر سخيفاً حينها.. لكن، أتيحت لي فرصة التفكير بالأمر.. أوتعرفين؟ وجدته منطقياً.

قالت بايلي بصوت مرتفع: «بكلمات أخرى.. ما أحتاج إليه هو نموذج..».

ثم عبست، وهزت رأسها ببطء مضيفة: «أعتقد أحياناً أنني لن أتعرف

إلى البطل حتى لو ضربني على رأسي».

وما إن نطقت بهذه الكلمات، حتى صدم شيء صلب رأسها.

فأطلقت بايلي صيحة حادة وراحت تفرك مكان الألم.. والتفتت تنظر إلى النذل الذي مرّ بكل عفوية من أمامها. ولم تكن تشعر بالألم بقدر ما كانت مدهوشة.

صاحت: «هاي.. أنظر أمامك!».

فقال الرجل بصوت أجش: «أرجو عفوك».

كان يحمل حقيبة أوراق في يد، ومظلة تحت إبطه.. وقدّرت بايلي أنّ قبضة المظلة هي المعتدي. نظرت إليه ساخطة، فأقل ما عليه أن يفعله، هو السؤال عما إذا أصيبت بأذى.

سألت جو آن: «ستأتين إلى الاجتماع الليلة.. أليس كذلك؟».

توقف القطار السريع.. فخفت الضجة بما يكفي لتتابعا حديثهما من دون رفع صوتيهما.

ـ سنحضر ليبي ماكدونالد.

وكانت ليبي قد نشرت قصص رومانسية شهيرة عدة، وقد أتت إلى سان فرانسيسكو لزيارة أقاربها ووافقت على دعوة جمعية كتّاب القصص الرومانسية لإلقاء محاضرة.

هزت بايلي رأسها متشوقة.. لقائها بجو آن ما كان ليتم في ظروف أفضل.. لقد تعرفنا إلى بعضهما بعضاً في قطار الأنفاق السريع، حين لاحظت بايلي أنهما تقرآن القصة الرومانسية ذاتها، وبدأنا الحديث. وسرعان ما عرفت أنهما تتشاركان اهتمامات عدة، وراحتا تلتقيان بانتظام فنمت بينهما علاقة.

بعد أسبوع تقريباً من لقائهما الأول، اعترفت بايلي بخجل برغبتها في كتابة قصة رومانسية، ولم تقل لجو آن إنها كتبت مخطوطة لقصة.. وشرحت جو آن أنها كتبت قصتان كاملتان، وتعمل على كتابة قصة رومانسية تاريخية ثالثة.

خلال الشهر الذي تعرفتا به إلى بعضهما، بدت صداقة جو آن لا تقدر بثمن لبايلي. ولقد قدمتها مرشدتها الخاصة إلى جمعية الكتّاب المحليين، واكتشفت بايلي أن الأخريات يتشوّقن للهدف الأخير.. نشر قصصهن. ومنذ انضمامها إلى الجمعية، أدركت بايلي أنها ارتكبت أغلاط عدة متوقعة من كاتبة مبتدئة. وأعادت من جديد كتابة قصتها، لكن، ولسوء الحظ، لم ينجح ذلك، على الأقل بحسب رأيّ جو آن.

تصفحت بايلي القصة مجدداً، وهي تنظر إلى الملاحظات التي وضعتها صديقتها. ما قالته جو آن معقول جداً، وما كتبته بالحبر الأحمر يقول: «البطل الرومانسي أكبر من الحياة، ولسوء الحظ مايكل ليس كذلك».

في الأشهر القليلة الماضية، تعلّمت بايلي أموراً عن الأبطال.. فمن المفترض أن يكونوا فخورين، محبين، ومندفعين.. من الرجال الأقوياء الشرسين، القادرين على الحنان، رجال أصحاب ذوق وأسلوب مميّزين. ومن المفترض أن يسعى البطل دائماً لإيجاد المرأة التي تكمل حياته.. وهذا ما يبدو رائعاً على الورق، لكن بايلي تعرف جيداً حقيقة الرجال.

تنهدت بإحباط، وهزت رأسها.

ـ لا بد أنك تظنين أنني غبية.

ـ لا تكوني قاسية على نفسك.. فأنت لست كذلك.. ولا تظني أنّ لدي ردّ على كافة الاسئلة.. تلاحظين أنني لم أبع كتاباً واحداً بعد.

ـ لكنك ستبيعين.

وكانت بايلي تؤمن بذلك، فرواية جو آن الرومانسية التاريخية مكتوبة بشكل جميل. كما وصلت صديقتها مرتين إلى التصفيات النهائية في مسابقات تأليف على الصعيد الوطني.. ويؤمن الجميع بمن فيهم بايلي، أن المسألة مسألة وقت قبل أن تشتري دار نشر ما قصة «حلم نار».

أضافت بايلي: «أنا موافقة على كل ما تقولينه. لكنني لا أعرف ما إذا كنت قادرة على أن أفعل. لقد وضعت قلبي وروحي في هذا الكتاب، ولن

أعطي».

قالت جو آن بإصرار: «بل تستطيعين ذلك».

أدركت بايلي أنّ حالها سيتحسّن بعد ساعات، بعد أن تتاح لها فرصة التفكير في حلّ. ومع حلول الليل، سوف تعيد كتابة القصة بحماس متجدد، لكنها الآن، تحتاج لأن تجلس وتستعيد ثقتها بنفسها. إنها في الواقع محظوظة، لأن لديها جو آن، التي بذلت الوقت والجهد لقراءة «لك إلى الأبد» واعطائها اقتراحات تحتاج إليها كثيراً.

مع ذلك راحت بايلي تفكر في أنه لو كان لديها نموذج عن مايكل، لأصبحت مهمتها أسهل بكثير. فجو آن تستخدم زوجها، دان، كنموذج، وغالبية الكاتبات تحبه، وإن لم تلتقِه واحدة منهن بعد.

وجدت بايلي نفسها توافق على الكلمات التي دوّنتها جو آن في نهاية الفصل الأول، يجب أن يكون مايكل مصمماً، بارداً، ومتحفظاً، أيّ رجلاً حقيقياً.

بدا الأمر أسهل بفضل صديقتها وأدركت بايلي مجدداً مدى افتقارها للتجربة، فطوال حياتها لم تتعرف إلى بطل واحد، بل فقط إلى من ظنت أنهم أبطال، لكنها سرعان ما اكتشفت خطأها.

كانت بايلي تفكر في مأزقها حين رأته. كان طويلاً، ويرتدي ثياباً تخلو من أي عيب، بذلة رمادية مخططة بخيط رفيع. لم تكن خبيرة بملابس الرجال.. لكنها تستطيع معرفة النوعية الجيدة حين تراها.

بدا الغريب بارداً متباعداً، وهذا جيد، لا بل ممتاز في الواقع. وهو بالضبط ما كتبته جو آن على هامش «لك إلى الأبد».

وعندما تفرست فيه، أدركت أنه يبدو مألوفاً بشكل غامض، لكنها لم تعرف السبب.. وهو من دون أدنى شك «رجل حقيقي» والشخص الذي تبحث عنه.

وها هي تتحسر على قدرها السيء، في وقت يدخل فيه غريب وسيم بطريقة عجيبة إلى حياتها، وليس أيّ غريب، فهذا الرجل هو مايكل

المتجسد.. بطلها! البطل الذي يجسد كل ما تتوقعه من بطل رومانسي. لكن هذه الصورة حية وتتنفس، وتقف على بعد خطوات منها.

للحظات لم تستطع بايلي إبعاد نظرها عنه. كانت عربة القطار مكتظة في ساعات الصباح الباكر، وبينما أبدى الكثيرون الضجر وقلة الراحة، بدا بطلها مسترخياً. كان يقف على بعد خطوات منها، يمسك القضيب الحديدي فوق رأسه ويقرأ جريدة الصباح، وقد طوى معطفه الواقي من المطر، ووضعه على ذراعه. وعلى عكس بعض الركاب الآخرين، بدا غير منزعج من حركة القطار السريعة.

انشغاله بالقراءة، أعطى بايلي فرصة تأمله دون أن يراها.. بدا من الصعب الحكم على سنه، لكنها قدرته في أواسط الثلاثين.. ممتاز! فبطلها، مايكل، في الرابعة والثلاثين من عمره.

كان الرجل وسيماً في بذلته الرمادية الانيقة، لكن لم تكن قسماته الكلاسيكية، عظمتا خديه البارزتين، وأنفه المستقيم أو جبهته العريضة، هي التي أسرت اهتمامها، بل فكّه.

لم ترَ بايلي فكاً أكثر تصميماً في حياتها.. فهو يجمع بين الأرستقراطية والجرأة، وكلا الصفتين ذكرتهما جو آن في نقدها.

شعره الكستنائي الكثيف والقصير مرتب التسريح، بشرته تميل إلى السمرة وعيناه سوداوان.. سوداوان بقدر ما كانت عيناها زرقاوان.

بدا أن وجوده يملأ عربة القطار. وبدا لبايلي أن الجميع يشعر بوجوده. ولم تستطع أن تفهم لماذا لمَ تكن النساء الأخريات يحدقن فيه بنشوة مثلها.. وكلما تفرست فيه أكثر، كلما بدا لها أوسم. كان من دون أدنى شك، أكثر الرجال «رجولة» مثلما تصورت مايكل.. بطلها. لكنها، ولسوء الحظ لم تنجح في نقله من مخيلتها إلى صفحات كتابها.

أحست بايلي بإثارة لم تستطع كبحها.. فبعد أشهر من كتابة «لك إلى الأبد» وإعادة كتابتها وتشكيل الشخصيات وإعادة تشكيلها، ها هي تقع أخيراً على مايكل حقيقي. وبالكاد صدّقت عينيها.. أولم تذكر جو آن

لتوها ذلك الكتاب الجديد العظيم الذي يقترح التعلم عبر المراقبة؟

هزّت جو آن، وهمست لها: «هل ترين ذلك الرجل الذي يرتدي البذلة الرمادية المخططة بخيط رفيع، هل تعرفين من هو؟».

ضاقت عينا جو آن وهي تنظر إلى بطل بايلي وتتفحصه لثوانٍ عدة، ثم هزت رأسها قائلة: «أوليس هو الشخص الذي ضربك على رأسك بمظلته منذ دقائق؟».

ـ أحقاً؟

ـ ومن تعتقدينه؟

ـ أتعنين أنك لا تعرفين؟

كانت بايلي واثقة من أن جو آن ستتعرف إليه بسرعة كما فعلت هي.

ـ وهل يجب أن أعرفه؟

ـ بالطبع.

لقد قرأت جو آن «لك إلى الأبد» وعليها بالتأكيد أن تتعرف إلى مايكل الحقيقي.

وسألتها جو آن بنفاد صبر: «ومن هو؟».

ـ إنه مايكل..

وأضافت بعد أن عبست جو آن: «مايكل.. بطلي».

فردت جو آن من دون اقتناع: «مايكل؟».

ـ كما يجب أن يكون.. مثلما تريده جانيس بطلتي، وأنا، أن يكون.

كانت بايلي تحاول رسمه في ذهنها منذ أسابيع.. ها هو الآن!

وسألت بصوت هامس: «ألا تشعرين بالجاذبية الصادرة عنه؟».

ـ بصراحة.. لا.

قررت بايلي تجاهل هذا الجواب، وتابعت تقول:

ـ إنه كامل، ألا تشعرين بتصميمه المتفاخر؟ بوجوده الآمر، الذي يجعله أكبر من الحياة؟

ضاقت عينا جو آن مرة أخرى، كما يحدث عادة حين تقوم بتقييم

مهم.

وسألتها بايلي: «هل ترين ذلك الآن؟».

ارتفعت كتفا جو آن بحركة أسف وأجابت: «أنا أحاول صدقاً.. لكنني لا أرى شيئاً، أعطني دقيقتين لأفكر».

تجاهلت بايلي قصر نظر زميلتها.. لم يكن يهمها أن توافقها الرأي، فالرجل في البذلة الرمادية هو مايكل، بطلها. ومن الطبيعي أن تتخلى عنه لجانيس، التي انتظرته طوال تلك الأسابيع ليسوي وضعه.

وشرحت لها بايلي، وعيناها تتركان بطلها مؤقتاً.

ـ تذكرت فجأة ما قلته عن المراقبة لأتعلم. وكنت أحتاج إلى نموذج لمايكل... شخص يستطيع مساعدتي.

ولم تبدُ جو آن مقتنعة.

ـ إذا أردت أن أبيع «لك إلى الأبد» يجب أن أستخدم هذا النوع من التقنيات.

وعادت عينا بايلي آلياً إلى الرجل.. طوله يفوق الستة أقدام بقليل، حسب تقديرها.. إنه فعلاً النموذج المتكامل. كانت تشعر بالإحباط، وتتساءل كيف يمكن لها أن تخترع بطلاً حقيقياً، ثم، ظهر هذا الرجل أمامها بالألوان الحية وكأنما بفعل ساحر.

حثتها جو آن لتنهي كلامها: «هيا.. تابعي».

ـ أعتقد أنني لن أستطيع تركيب الشخصيات بطريقة صحيحة إذا لم يكن أمامي نموذج لمايكل.

وتوقعت بايلي أن تجادلها جو آن، لكنها دهشت حين وافقتها صديقتها الرأي: «أظنك على حق، في الواقع، إنها فكرة رائعة».

فابتسمت بايلي بخجل وقالت: «وهذا ما ظننته».

ـ وماذا تخططين أن تفعلي؟ أتدرسين هذا الرجل، وتبحثين عن تاريخ حياته، وتجمعين المعلومات عن عائلته ومنشأه؟ وأشياء كهذه؟ أرجو أن تدركي أن هذا الأمر لن يكون سهلاً.

www.liromancia.com

قالت بايلي بوقار: «لا شيء يتم بسهولة».

في الواقع، كيف ستجري مثل هذا البحث، بقي لغزاً بالنسبة لها.. لكن في النهاية قد تتوصل إلى طريقة لتعلم ما تريد، وكلما كان هذا أسرع، كلما كان أفضل بالطبع.

ـ قد أبدأ بمعرفة اسمه.

لم يبدُ على جو آن الاقتناع بهذه الخطة الذكية، لكنها قالت: «تبدو لي خطة جيدة».

وتوقف القطار، وتحرك عدد من الناس نحو الأبواب ليترجل. وركب القطار المزدحم آخرون، لكن بايلي أبقت نظرها مركزاً على الرجل خوفاً من أن ينزل من دون أن تراه.. وحين تأكدت من وجوده استرخت.

قالت جو آن بعد انطلاق القطار مجدداً: «أتعرفين؟ كان لوغان يشبه دان، لكن في هذه الحالة، بدأت...».

قاطعتها بايلي، وهي تمسك ذراعها بحماسة: «هل رأيت هذا؟».

كلما زادت دراستها للغريب كلما زاد تأثرها به، إنه حقاً رائع.

وسألتها جو آن وهي تنظر حولها: «ماذا؟».

ـ الطريقة الأنيقة التي يقلب بها صفحة الصحيفة.

كانت بايلي تفكر بمحاولاتها اليائسة للقراءة وهي تقف في القطار المتحرك.. أيّ مغامرة هي قلب الصفحة، إذ كانت تدفعها إلى الاحباط.. مع ذلك، ها هو يقوم بهذا بكل رشاقة وسهولة وكأنه يجلس وراء مكتبه الخاص.

ـ لقد تعلقت بهذا الرجل.. أليس كذلك؟

لم تشعر بايلي سوى بخيبة أمل: «ما زلت لا ترين ذلك؟».

كانت تتوقع من جو آن، ومن بين كل الأصدقاء، أن تفهم أنّ هذا الغريب هو كل ما أرادته في مايكل، من قمة شعره الرائع إلى طرف حذاءه.

وقالت جو آن متأملة بطل بايلي: «ما زلت أحاول.. لكن لسوء الحظ

لا أرى شيئاً».

ـ هذا ما ظننته.

كانت بايلي مقتنعة بأنها على حق. فهذا الرجل الطويل الوسيم هو مايكل.. ولا يهم إن رأت جو آن ذلك أم لم تره.. لأنها هي تراه.. وهذا هو الأهم.

أبطأ القطار السريع وهو يقترب من المحطة التالية. وتجمهر عدد من الركاب مجدداً أمام الأبواب، فدس بطلها الصحيفة تحت ذراعه، وحمل المظلة، ثم تراجع إلى الوراء، ينتظر دوره بتهذيب.

وانعكس الذعر على صوت بايلي: «أوه، يا إلهي».

قد يتعقّد الموقف.. وأخذ قلبها يتخبط مثل عاصفة هوجاء تهب في الصحراء. ومدت يدها لتحمل حقيبتها ووقفت.

نظرت إليها جو آن وكأنها فقدت عقلها، وشدّتها من معطفها، قائلة: «هذه ليست محطتنا».

ـ أعرف.

وشدت جو آن رغماً عنها، وبدا أن صديقتها لم تفهم بعد إذ سألتها: «لماذا تريدين أن ننزل هنا إذن؟».

ـ سنلحق به.. وما غير هذا؟

ـ نحن؟ لكن ماذا عن وظيفتينا؟

ـ وهل تتوقعين أن أفعل ذلك وحدي؟

* * *

٢ ـ الخدعة

ـ أتعنين أننا سنلحق به فعلاً؟

ـ بالطبع، هل ستأنين معي أم لا؟

ولم يكن لديهما وقت كافٍ للوقوف والجدال.

فللمرة الأولى، فقدت جو آن القدرة على الكلام. وما أن قررت بايلي خوض المغامرة وحدها، حتى هزت جو آن رأسها، وسارعت الاثنتان في النزول من العربة.

تمتمت جو آن: «لم أفعل شيئاً جنونياً كهذا طوال حياتي».

وتجاهلتها بايلي، قائلة: «لقد ذهب من هنا».

وأشارت إلى السلم المتحرك، فأمسكت جو آن بذراعها، وهرعت الاثنتان خلف الرجل في البذلة الرمادية، وهما تحافظان على مسافة معيّنة بينهم.

أخذت جو آن تركض كي تلحق بصديقتها، لكنها بقيت بعيدة عنها خطوتان، وقالت: «اسمعي يا بايلي.. بدأت أعيد النظر بكل هذا».

ـ لماذا؟ لم يمضِ خمس دقائق على موافقتك على اختياري نموذجاً لمايكل. سأتمكّن بهذه الطريقة من رسم شخصيته.

ـ لم أكن أعلم أنك تخططين لمطاردة الرجل خلسة! ألا تعتقدين أنّ علينا البقاء بعيدتين أكثر؟

ـ لا.

كانت خطوات البطل واسعة وواثقة، وأسرع بكثير من خطوات بايلي العادية، فيما خطوات جو آن أقل سرعة.

ما إن وصلتا إلى زاوية الشارع، حتى كانت جو آن تلهث. واستندت إلى عمود الإنارة، وهي تضع يدها على قلبها وتتنفس بعمق.

ـ امنحيني دقيقة.. ممكن؟

ـ قد نفقده.

النظرة التي رمقتها بها جو آن قالت إنها لا تجد الفكرة سيئة.

أضافت بايلي: «اعتبري الأمر بحثاً».

وشبكت ذراعها في ذراع جو آن وجرتها إلى الأمام. لحقتا ببطل بايلي، وراقبتاه لبضع لحظات. ولحسن الحظ، سار في اتجاه المنطقة التي تعمل فيها بايلي وجو آن.

حين توقف أمام الضوء الأحمر، بقيت بايلي على بعد خطوات منه، وتقدمت من دون هدى نحو واجهة محل، وراحت تلتفت إليه بين الفينة والفينة، خوفاً من أن يلاحظها.

سألت بايلي صديقتها: «هل تظنين أنه متزوج؟».

صاحت جو آن: «وأنّى لي أن أعرف؟».

ـ بالحدس.

تغيّرت الإشارة الضوئية، فسارعت بايلي إلى الأمام، ولحقت بها جو آن على مضض.

ـ لا أصدق أنني أفعل هذا.

ـ لقد سبق وقلت هذا.

تأوهت جو آن: «ماذا سأقول لرئيسي حين أتأخر؟».

اضطرت بايلي للانتظار حين توقفت جو آن فجأة، واستندت إلى واجهة محل لتخلع حذائها العالي الكعبين، وتنفضه لتعود وتنتعله من جديد.

همست بايلي بحرارة، تحث صديقتها على الإسراع: «جو آن!».

فردّت من بين أسنانها: «كان هناك شيء في الحذاء.. لا تتوقعي مني أن أركض في شوارع سان فرانسيسكو وحصى صغيرة في حذائي».

توقفت بايلي فجأة: «لا أريد أن أفقده.. أنظري، لقد دخل مبنى «الكاسكايد».

تمتمت جو آن بعد تنهيدة تعكس الارتياح: «أوه.. جيد. هل يعني هذا أننا قادرتان على التوجه إلى العمل الآن؟».

بدا واضحاً لبايلي أن جو آن لا تعرف شيئاً عن عمل «التحري».. وهي على الأرجح لا تقرأ روايات بوليسية.

- بالطبع لا.. يجب أن أعرف اسمه.

- ماذا؟

وبدا على جو آن وكأن بايلي اقترحت عليها أن يتسلقا قمة أحد الأبراج وأن يقفزا منه.

- وكيف تخططين لذلك؟

- لست أدري.. سأفكر بشيء ما فيما بعد.

أمسكت بذراع صديقتها تحثها قائلة: «هيا.. لا يمكننا أن نتوقف الآن».

تمتمت جو آن وهما تدخلان مبنى كاسكايد: «بكل تأكيد نستطيع».

وهمست بايلي وهي تدفع جو آن بمرفقها: «أسرعي.. إنه يدخل المصعد».

وأخذت تدفع الناس متمتمة: «أرجو عفوكم.. أرجو عفوكم..».

وكافحت لتصل إلى المصعد. وتمكنتا من ركوب المصعد ذاته قبيل إقفال الأبواب، وكان في المصعد أربعة أو خمسة أشخاص. نظرت جو آن إلى بايلي نظرة تشكك فيها بصحة عقلها.

لكن، في هذه الأثناء صبّت بايلي اهتمامها على أمر آخر. حاولت أن تبقى متخفية، فهي لا تريد لفت الانظار إليها أو إلى جو آن.. وبدا بطلها في غفلة عنهما، مما خدم غرضها تماماً.. جلّ ما أرادته هو أن تعرف اسمه

وعمله، وهذه مهمة لا تتطلب جهداً بوليسياً كبيراً.

شدت جو آن كم بايلي وأشارت إلى يد الرجل اليسرى.. ولزم بايلي لحظتان أو أكثر لتدرك أن صديقتها تشير إلى أنه لا يضع خاتم زواج.. هذا الأمر أبهج بايلي، فابتسمت ابتسامة عريضة.

وبينما راح المصعد يتابع طريقه صعوداً، رأت بايلي جو آن تنظر بلهفة إلى ساعتها. وتوقّف المصعد، ومرت لحظات قبل أن تنفتح الأبواب مجدداً، لينزل منه راكبان.

التفت البطل إلى الوراء، وخطا جانباً.. لثوانٍ معدودة، استقرت نظرته على بايلي وجو آن، قبل أن يلتفت إلى الأمام.

ثوانٍ معدودة! واستقامت بايلي وهي تشعر بالإهانة للطريقة العادية التي رمقها بها.. صحيح أنها لا تريده أن يلاحظها، لكن، وفي الوقت عينه، أحست أنها مخدوعة لأنه لم يتعرّف إلى البطلة فيها، مثلما رأت البطل فيه. فهي على أي حال، جادة كبطلة.. وهي جذابة و.. حسن جداً، لعل كلمة جذابة مبالغ فيها، فلكلمة ظريفة وساحرة، وقع أفضل. أما أجمل ما فيها فهو شعرها الأسود المنسدل على كتفيها. وهي طويلة، نحيلة، ذات عينين زرقاوين صاخبتين، وأنف صغير. أما شخصيتها، فلديها ما يكفي من جرأة كي لا تتهرب من الجدال، وروح جامحة تكفي لأن تلحق بغريب في شوارع سان فرانسيسكو.

لاحظت بايلي مرة أخرى أن وجوده يملأ المكان الضيق. رأت صحيفته تحت ذراعه، بينما أمسك بقبضة مظلته.. ولم يلاحظ هو أحداً، وكأنه وحيد.

حين نظرت بايلي إلى صديقتها، رأت عينيها مركزتين على نقطة ما أمامها وأسنانها مشدودة، وكأنها لا تستطيع الانتظار لتقول لها رأيها بهذا المشروع الجنوني.. وهو فعلاً جنوني.. وبايلي أول من ستعترف بهذا.. لكنها كانت أوقات يائسة في حياة كاتبة رومانسية ناشئة، ولن يوقفها شيء عن تحقيق هدفها.

ابتسمت بايلي.. غير قادرة على إخفاء تسليتها. عليها أن تعترف بأن الجري وراء بطلها أمر غير تقليدي. لكن، لا داعي لأن يعرف ذلك، ولا داعي إطلاقاً لأن يعرف كيف ستستغله.

تحرك نظرها من جو آن إلى الرجل، وتلاشى المرح من عينيها وهي تجد نفسها تحدق في عينين لم ترَ مثل سوادهما في حياتها.. وأشاحت بوجهها أولاً، ونبضات قلبها تضج في أذنيها.

توقف المصعد مرات عدة حتى لم يبق فيه سوى الثلاثة فقط.. وكانت جو آن قد تراجعت حتى الزاوية، والنظرة التي ترمق بها بايلي تكاد تذبحها.

من وراء الغريب حركت جو آن فمها ببضع كلمات صامتة، لم تفهمها بايلي، ثم أشارت بإصبعها إلى ساعتها.

هزت بايلي رأسها، ورفعت يدها تتوسل لخمس دقائق أخرى.

حين توقف المصعد، خرج البطل منه ولحقت به بايلي وخلفها جو آن المترددة. وسار بسرعة في البهو، ثم عبر مجموعة أبواب مزدوجة تحمل اسم مؤسسة هندسية شهيرة.

وانفجرت جو آن: «هل رضيت الآن؟ حقاً يا بايلي.. هل جننت تماماً؟».

- لقد قلت لي إنني أحتاج إلى بطل متكبر بارد ومصمم. وبحق السماء، سأجد واحداً.

- لكن هذا لا يرد على سؤالي.. ألم يخطر في بالك أنك تماديت كثيراً؟

- ألأنني أريد أن أعرف اسمه؟

- وكيف تخططين لمعرفته؟

- لا أعرف بعد.. لكن لماذا لا أسأل؟

وهكذا، هزّت كتفيها، واتجهت نحو الأبواب ذاتها التي اختفى خلفها الرجل.

حيّث المرأة المتوسطة العمر، الحسنة المظهر، التي تجلس وراء مكتب الاستعلام، بايلي بابتسامة حارة، قائلة: «صباح الخير».

ردت بايلي: «صباح الخير.. قد يبدو لك الأمر غير عادي.. لكنني.. كنت في قطار الأنفاق السريع هذا الصباح وظننت أنني لمحت صديقاً قديماً للعائلة.. ومن الطبيعي أنني لم أرغب أن أبدو كالبلهاء في حال اخطأت.. لقد وصل إلى هنا منذ لحظات.. وكنت أتساءل.. أعرف أن هذا أمر غريب، لكن هل تمانعين في أن تقولي لي اسمه؟».

- إنه السيد دايڤدسون، وهو يركب قطار الأنفاق السريع منذ بضعة أشهر بسبب أعمال الصيانة على الطريق العام.

كررت بايلي ببطء: «سيد دايڤدسون.. هل اسمه الأول مايكل.. هل من الممكن؟».

قطبت موظفة الاستعلام قائلة: «لا.. إنه باركر».

كررت بايلي مجدداً: «باركر.. باركر دايڤدسون».

وأحبت رنين الاسم.. ولو لم يكن اسماً تختاره لبطلها، إلا أنها رأت أنه يناسبه تماماً.

وسألت الموظفة: «هل السيد دايڤدسون هو الرجل الذي ظننته؟».

لزم بايلي لحظة لتدرك أن المرأة تكلمها، وأجابت بابتسامة مشرقة: «أجل، أعتقد أنه هو».

ابتهجت المرأة بوضوح وقالت: «هذا رائع.. هل تريدين أن أتصل به؟ أنا واثقة من أنه يريد أن يحدثك بنفسه، فالسيد دايڤدسون رجل لطيف جداً».

- أوه.. لا.. أرجوك، لا تفعلي هذا.

وأملت أن تكون قد تمكنت من إخفاء الذعر الذي أحست به لاقتراح المرأة.

- لا أريد أن أزعجه، ويجب أن أعود إلى عملي.. عفواً على إزعاجك.

www.elromancia.com

ـ لم يكن إزعاجاً أبداً، كنت سأقترح أن تزوريه وقت الظهر.. لكن السيد دايڤدسون للأسف لديه موعد عمل على الغداء.

تنهدت بايلي وكأنها تأسف، واستدارت مبتعدة: «أعتقد أن عليّ أن أزوره في مناسبة أخرى».

ـ هذا مؤسف جداً.. على الأقل أعطني اسمك.

وعكست عينا المرأة البنيتان الناعمتان التعاطف.

فقالت بايلي، تعطيها اسم بطلة قصتها: «جانيس هامبتون، وشكراً لك مجدداً على مساعدتك.. كنت في غاية اللطف».

كانت جو آن في الردهة تذرع المكان وتتمتم حين خرجت بايلي من مكتب باركر.. وتوقفت فجأة مع ظهور بايلي، وعيناها مليئتان بالأسئلة: «ماذا حدث؟».

ـ لا شيء.. سألت موظفة الاستقبال عن اسمه، وأخبرتني، حتى أنها قالت إن لديه موعد غداء..

وبدا أن جو آن مرت من حالة نفاذ الصبر إلى حالة الاستسلام، فسألتها:

ـ وهل اكتفيت الآن؟ وفي حال نسيت نحن امرأتان عاملتان.

نظرت بايلي إلى ساعتها وتأوهت: «لن نتأخر كثيراً لو أسرعنا».

كانت جو آن تعمل كإخصائية تأمين في مكتب طبيب وبايلي في مكتب قانوني.

لحسن الحظ أن مبنى مكتبيهما لا يبعد كثيراً عن مبنى كاسكايد، فافترقتا عند الزاوية التالية، وركضت بايلي قاطعة المسافة المتبقية.

لم يعلّق أحد حين دخلت المكتب متأخرة.. وأملت أن تلاقي جو آن، التي لم تتأخر على الأرجح عن عملها طوال حياتها، المعاملة نفسها.

استقرت بايلي وراء منضدتها مع القهوة والملفات.. ثم ترددت.. جو آن على حق، اكتشاف اسم باركر عديم الجدوى ما لم تعرف التفاصيل الأساسية عن حياته. إنها بحاجة إلى وقائع.. والكثير منها.. نوع الناس

الذين يتصلون به، خلفيته العائلية والاجتماعية، ما يحب وما يكره، عاداته اليومية.

مر وقت طوي قبل أن تبدأ بايلي بالتساؤل عن المكان الذي يمكن لشخص مثل باركر دايڤدسون أن يقصده لتناول الغداء. لعله من المهم أن تعرف هذا النوع من المعلومات عنه.. نوع المطاعم التي يختارها.. عادي؟ أنيق؟ غريب؟ علّه يظهر شخصيته. فتفاصيل مثل هذه قد تشكل فارقاً. وبصراحة، لا تعرف بايلي ما إذا كان مايكل سيتحمل رفضاً آخر.

وفي الثانية عشرة إلا عشر دقائق اختلقت بايلي عذراً قبل أن تخرج من المكتب. ورمقها رب عملها بنظرة غريبة، لكنها حاولت الفرار قبل أن يطرح عليها أحدهم أيّ أسئلة، ولم يكن من عادتها الاستخفاف بواجباتها.

وحالفها الحظ.. إذ لم يمضِ على وقوفها عند زاوية الشارع خمس دقائق حتى خرج باركر دايڤدسون من المبنى، مستغرقاً في حديث مع رجل آخر. وما إن رفع يده ليوقف سيارة أجرة، حتى ظهرت واحدة وكأنما بفعل ساحر. ولو لم ترَ هذا بأم عينها، لما صدقته. هذه هي الثقة بالنفس من دون شك، وحسّ القيادة الذي يقول الآخرون إنّ على البطل أن يتحلّى به. ولكي لا يفوتها أي تفصيل دقيق أخرجت ورقة وقلماً من حقيبة يدها وبدأت تسجل.

ومع انطلاق سيارة الأجرة التي استقلها باركر، قطعت بايلي الشارع ولوّحت لسيارة أجرة.. ولكنها اضطرت إلى التلويح بذراعيها، والقفز مراراً وتكراراً لكي تتوقف.

فتحت باب السيارة وقفزت إلى الداخل صائحة: «إلحق بتلك السيارة».

استدار السائق الممتلىء الجسم وسألها: «هل أنت جادة؟ تريدين مني أن ألحق بتلك السيارة؟».

ردت بلهفة، تخشى أن تغيب السيارة الأخرى عن نظرها: «هذا صحيح».

ضحك السائق وقال: «إني أنتظر هذه اللحظة منذ خمس عشرة سنة.. أنا موافق يا سيدتي».

وانطلق في الشارع بسرعة تفوق الحدود القانونية، ثم سألها:

- هل من سبب محدد يا سيدتي؟

- أرجو عفوك؟

كان الرجل يسير بسرعة خمسين في منطقة حدود سرعتها ثلاثين، وأكمل:

- أريد أن أعرف لماذا تريدين اللحاق بتلك السيارة.

واستدارت السيارة بها عند زاوية الشارع بسرعة قياسية، وتعالى صرير الإطارات، وانزلقت بايلي من جانب إلى آخر من المقعد. وإذا كانت تأمل ألاّ تلفت الانتباه فقد خاب أملها.. لعل باركر دايڤدسون لم يلاحظها لكن سكان سان فرنسيسكو كلهم تقريباً لاحظوها.

وقالت تشرح: «أنا أقوم بأبحاث من أجل رواية رومانسية».

- تقومين بماذا؟

- بأبحاث.

بدا واضحاً أن ردها لم يعجبه، لأنه أبطأ السرعة إلى عشرين ميلاً في الساعة، وكرر: «أبحاث لرواية رومانسية.. ظننتك تحرية خاصة أو شيء من هذا القبيل».

- آسفة إذا خيّبت ظنك.. أنا أكتب قصصاً رومانسية، و.. أوه.. توقف هنا.. أتسمح؟

توقفت سيارة باركر عند الزاوية ونزل منها الرجلان.

- بالتأكيد سيدتي.. لا تهتاجي.

وخرجت بايلي من التاكسي، وفتشت في محفظتها.. وحين لم تستطع أن تجد المال على الفور أفرغت محتويات الحقيبة الكبيرة على مقدمة السيارة وفتشتها إلى أن وجدت محفظة المال.

- هاك.

قال سائق التاكسي ساخراً: «ليكن يومك عظيماً سيدتي».

وأرجع قبعته إلى الوراء، وابتسمت له بايلي ابتسامة غامضة.

فكرت في أن تلحق بالرجلين إلى المطعم وتتناول الغداء، وكانت ستفعل لولا أنها استخدمت كل مالها لتدفع أجرة السيارة.

لكن، هناك الكثير يسليها وهي تنتظر.. ولو أنها لم تكن واثقة بالضبط مما تنتظره. كانت شوارع الحي الصيني مزدحمة ونظرت حولها إلى المحلات الملونة ومنصات البيع والتذكارات وصفوف البط المدخن المعلقة في الواجهات.. والبائعون المتجولون الذين يعرضون بضاعتهم ويحاولون إقناعها بتفحص ما لديهم.

اشترت بايلي بعض البرتقال الطازج بشيء من المال وجدته في أسفل حقيبتها وتساءلت كم من الوقت سيبقى بطلها في المطعم.. على الأرجح، سيعود سيراً على القدمين إلى مكتبه.. فمايكل قد يفعل هذا.

لم يطل وقت الغداء كما توقعت بايلي. وحين خرج من المطعم، فاجأها.. كانت تحاول كتابة شيك ثمن كنزة وجدتها بسعر زهيد، فاضطرت للإسراع كي تلحق به.

لم يبتعد كثيراً حين فقدته. فوقفت وسط الشارع، مذهولة تتساءل كيف يمكن له أن يختفي.

في لحظة كان هناك، وفي الأخرى اختفى. إن اللحاق بأثر بطل أمر ليس سهلاً كما توقعت.

محبطة، رمت محفظتها على كتفها وعادت نحو مكان عملها.. ماذا ستقول لرب عملها ما إن تصل، وقد تأخرت نصف ساعة.

لم تتقدم سوى خطوات حين أمسك أحدهم بذراعها وشدها إلى زقاق مسدود. فتحت فمها لتصرخ، لكن الصرخة ماتت ميتة مفاجئة، حين وجدت نفسها تحدق في باركر دايڤدسون.

- أريد أن أعرف لماذا تلحقين بي بحق الجحيم؟

***

٣ ـ المواجهة

لم تستطع بايلي النطق، ولو كلفها هذا حياتها.

ـ جانيس هاميتون على ما أعتقد؟

هزت بايلي رأسها لأن هذا ببساطة أسهل عليها من الشرح.

وتأملتها عينا باركر ببطء من الرأس حتى القدمين.. وبدا جلياً أنه لم يرَ ما يرضيه.

ـ أنت لست صديقة قديمة للعائلة، أليس كذلك؟

بقيت صامتة، وأجابته بهزة رأس نافية.

ـ هذا ما ظننته.. ماذا تريدين؟

وعجزت بايلي عن التفكير بكلمة مفهومة. فأعاد طرح السؤال بعد أن اتضح له أنها تلاقي صعوبة في الإجابة على أكثر الأسئلة بساطة.

ولم تعرف بايلي بماذا تبدأ أو ماذا تقول.. فالحقيقة لن تفيد، لكنها لا تعرف إذا كانت قادرة على أن تكذب بشكل مقنع.

قال بحدة: «إذن، أنت لا تتركين لي خياراً آخر سوى استدعاء الشرطة».

ـ لا.. أرجوك.

بدت لها فكرة شرح الموضوع لرجل قانون مخيفة.

ضاقت عيناه، وأصبحتا باردتين كريح شهر كانون الثاني الباردة في خليج سان فرانسيسكو.

ـ إذن.. ابدئي بالكلام.

ضمت بايلي يديها، تتمنى لو لم تستسلم لنزوة اللحاق به إلى موعد الغداء.. وتلعثمت: «الأمر.. معقد قليلاً».

ـ أوليس كذلك دائماً؟

ردّت بتشنج: «تصرفك لا يساعدني أبداً».

لعله مهندس رفيع الشأن.. ولعل تصرفها غريب بعض الشيء.. لكن هذا لا يعطيه الحق في معاملتها وكأنها مجرمة.

قال بعجب: «تصرفي؟».

فردت وهي تتفحص ساعتها: «اسمع.. هل تسمح بأن نختصر هذا الاستجواب؟ يجب أن أعود إلى عملي بعد خمس عشرة دقيقة».

ـ لن ترحلي قبل أن تقولي لي لماذا كنت كظلّ يلاحقني منذ ساعة.. هذا عدا عن ذكر هذا الصباح.

ـ أنت تبالغ.

واستدارت لتتركه، لكن يده امتدت تمسك بكتفها، وقال: «لن تذهبي إلى أي مكان إلى أن تردّي على بضعة أسئلة».

فردّت بعد تنهيدة مطوّلة: «إذا أردت أن تعرف.. أنا قصصية..».

ـ معروفة؟

اعترفت على مضض: «ليس بعد، لكنني سأكون».

ارتفعت زوايا فمه، ولم تستطع بايلي أن تعرف ما إذا كانت ابتسامة سخرية أم عدم تصديق. وكلا الخيارين لم يساعدا غرورها.

وقالت بجراءة: «هذا صحيح.. أنا كاتبة قصصية، لكنني كنت أجد صعوبة في تصوير الطبيعة الحقيقية للبطل الكلاسيكي و.. حسن جداً.. كما قلت لك، الأمر سيتعقد.

ـ ابدئي من البداية.

كانت بايلي مستعدة لأن تنفذ ما يطلبه منها.. يريد التفاصيل؟ ستعطيه التفاصيل.

ـ حسن جداً.. بدأ الأمر منذ بضعة أشهر حين كنت أركب المترو والتقيت بجو آن.. إنها المرأة التي كنت برفقتها هذا الصباح. وبعد أسبوعين عرفت أنها كاتبة، وكانت لطيفة بما يكفي لتعلمني.. وكنت قد أرسلت أول مخطوطة لي حين التقيتها. وسرعان ما عرفت أنني ارتكبت أخطاء أساسية، يقع فيها الكتّاب المبتدئون كلهم. لذا أعدت كتابة القصة و...

بدا واضحاً أن صبره نفذ: «هلاّ وصلنا بسرعة إلى هذا الصباح؟».

ـ حسن جداً.. عظيم.. سأتجاوز الامر، لكن قد لا يبدو هذا منطقياً.

ولم تستطع أن تفهم لماذا يرسم على وجهه هذه النظرة المعادية.. فهو الذي أصر على أن تعود إلى البداية.

ـ كنت أنا وجو آن في ركب القطار السريع هذا الصباح، وقلت لها إنني أشك في أن أتعرف إلى بطل قصتي.. أترى.. مايكل بطل قصتي، وأنا أجد صعوبات كثيرة معه.. في المرة الأولى، كان خشناً أكثر من اللازم، ثم جعلته تافهاً.. يبدو أنني غير قادرة على ايجاد الحل الوسط.. يجب أن يكون قاسياً، لكن مع حنان.. قوي ومتسلط لكن دون عدائية أو تعجرف بحيث يرغب القارىء في أن يخنقه. يجب أن أجد طريقة أجعل فيها مايكل أكبر من الحياة. لكن وفي الوقت ذاته، رجل من النوع الذي تقع أيّ امرأة في حبه و..

عقد باركر يديه على صدره يقاطعها: «عفواً للمقاطعة.. لكن، هل ستنهي هذه الرواية في وقت ما قبل انتهاء السنة؟».

لم تفتها سخريته، لكنها قررت أن تتصرف بكرم وتتجاهلها: «أوه.. أجل.. آسفة. كنت أقول لجو آن إنني لن أتعرف إلى البطل حتى ولو ضربني على رأسي، وما إن قلت هذا حتى ضربتني بمظلتك».

وما إن تلفّظت بهذه الكلمات حتى أدركت أنه كان عليها تجاهل هذا الجزء، لأنه قال بازدراء لم يخفه: «تعجبني الصورة الأخرى أكثر».

وهز رأسه، ثم تجاوزها إلى الرصيف المزدحم.

فسألت: «أيّ صورة؟».

وسارت خلفه.. كانت تسرد الوقائع كما أصرّ هو.

ـ تلك التي تقول إنك صديقة قديمة للعائلة. فقصة أنك قصصية.. هي..

أنهت كلامه بوقار: «.. الحقيقة الكاملة.. أنت البطل.. حسن جداً، لست البطل بالضبط، لا تسيء فهمي، لكنك تشبهه كثيراً.. يمكن أن تكون توأمه».

وقف باركر فجأة، واستدار ليواجهها. اختفى الازدراء من عينيه، وحل مكانه شعور آخر لم تعرفه بايلي.

سألها بلطف: «وهل رأيت طبيباً؟».

ـ طبيب؟

ـ هل ناقشت المشكلة مع إخصائي؟

لزم بايلي لحظات لتفهم ما يقوله. وما إن فهمت، حتى غضبت بحيث لم تستطع التحدّث بسرعة تكفي لتلاحق ما يجول في رأسها من أفكار.

ـ أتظنني.. مريضة نفسية.. أجول في الشوارع؟

هز رأسه موافقاً بوقار.

لم تكن بايلي قد تلقّت إهانة أكبر من هذه في حياتها.

ـ هذا أكثر ما سمعته في حياتي سخفاً!

باركر دايڤدسون يعتقد أنها مجنونة! ولوحت بذراعيها متأثرة وهي تحاول تركيز أفكارها.

ـ أنا مستعدة لأن أعترف بأن لحاقي بك أمر غريب. لكن.. لكن.. لقد فعلت هذا باسم البحث!

ـ إذن.. لطفاً.. أجري بحثك على غيري.

ـ بكل سرور.

ابتعدت خطوات، ثم استدارت فجأة، قائلة وقبضتاها مشدودتان:

- يجب أن تعذرني.. فأنا جديدة على الكتابة.. ولا أعرف الكثير بعد. لكن، يبدو أنني مضطرة لأن أتعلم أكثر مما كنت أعتقد.. وكنت محقة في المرة الأولى.. أنت لست بطلاً.

ودون إعطاءه فرصة ليرد سارعت تعود إلى مكتبها، وقد تملكها شعور بالاشمئزاز من الرجل الذي افترضت أنه البطل الحي.

كان «ماكس» هرّ بايلي، ينتظرها بلهفة حين وصلت إلى البيت ذلك المساء.. وقد تأخرت حوالى الساعة لتعوّض عن تأخرها وقت الغداء.. ولم يكن ماكس في الواقع مسروراً جداً لرؤيتها، فهو لا يفكر سوى بعشائه، وما أن تطعمه، حتى يعود ليتجاهلها.

قالت له بايلي ممازحة: «وأنا مجنونة بحبك أيضاً».

وانحنت فوقه تداعب وبره الطويل الناعم. كانت تتحدث إلى قطها كما تتحدث إلى شخصية من شخصيات قصصها، مع أن مايكل بقي هادئاً مؤخراً.. وهذا أمر جيد بالنسبة لبايلي لأن وقت فراقهما القصير مفيد لهما، ولم يسرّها العمل مع بطلها بعدما حدث مع باركر دايڤدسون بعد ظهر اليوم. مرة أخرى قادها مايكل إلى الضياع.. وأفضل ما عليها أن تفعله، هو أن تقفل عليه درج منضدتها لفترة علّه يسوي أموره بنفسه.

تململ ماكس بجسمه السمين الطري عند قدميّ بايلي وهي تقلب بريدها.. وتوقفت، وهي تتذكر مواجهتها مع باركر دايڤدسون. كلما فكرت بما قاله، كلما شعرت باحمرار الإحراج يزحف إلى وجهها.. وشعرت بالإحراج وهي تتذكر النظرة المشفقة التي رمقها بها وهو يسأل عما إذا طلبت مساعدة إخصائي.. لم تتعرض في حياتها إلى خزي مماثل.

وسمعت مواء ماكس.. المصمم على تذكيرها بأنه لا يزال ينتظر وجبة طعامه. وتمتمت: «حسن جداً.. حسن جداً..».

واتجهت إلى البراد مضيفة: «ليس لدي وقت لأجادلك الليلة.. سوف أخرج لسماع محاضرة ليبي ماكدونالد».

أخذت علبة طعام القطط من الرف الأسفل ورمت المحتويات في طبق

جاف.. وبهرهرة جافة تقدّم ماكس إلى طبقه وترك بايلي تغير ملابسها لحضور اجتماع الكتّاب.

ما إن ارتدت كنزة مريحة، وبنطلون جينز باهت اللون، حتى خرجت من الباب.

كانت جو آن قد وصلت إلى كلية باركلين، مكان الاجتماع، وراحت ترتب الطاولات لتشكل حلقة كبيرة.. ساعدتها بايلي آلياً ممتنة لأن صديقتها لم تسألها عن باركر دايڤدسون.. وما هي إلا دقائق، حتى بدأ الصف يمتلىء بأعضاء جمعية كاتبات القصة الرومانسية.

لم تكن بايلي تعرف ما إذا عليها أن تخبر جو آن عن مواجهتها مع باركر دايڤدسون، وقررت ألاّ تفعل. فالحادثة المؤسفة من الأفضل أن تنتسى، وأن تدفن تحت قائمة «الأغلاط التي يجب ألاّ تتكرر».

ولو سألت جو آن، فمن الأفضل أن تفكر بايلي في حجة ما.. صحيح أنّ ليس من عادتها الكذب، لكن مواجهتها مع ذلك الرجل مذلة أكثر من أن تصفها، حتى لصديقتها.

سار الاجتماع على ما يرام.. وحاولت بايلي أن تسجّل بعض الملاحظات، إلا أن أفكارها أصرّت على الابتعاد عن محاضرة ليبي، لتعود باستمرار إلى باركر.. كان الرجل من الوقاحة بحيث أشار إلى أنها مجنونة.. فمن يظن نفسه على أي حال؟ سيغموند فرويد؟ لكن لم يكن بإمكانه أن يعرف أنها لا تلحق عادة برجال غرباء وتدعي أنهم أبطال قصصها.

وطوال المحاضرة، اضطرت بايلي بعناد أن تركز اهتمامها على خطبة ليبي. وحين انتهت المحاضرة، سارعت العشرون كاتبة، أو ما يزيد، إلى التصفيق باستحسان وبحماسة أجفلت بايلي، الغارقة في جدال فكري حول ما حدث بعد الظهر.

وتلا التصفيق سلسلة من الأسئلة، ثم اضطرت ليبي للمغادرة كي تلحق بطائرتها. وخاب أمل بايلي لأنها لم تستطع مرافقة المجموعة لشرب

القهوة في المقهى الواقع في الشارع المقابل، والذي يقصدنه دائماً بعد اجتماعهن الشهري.

واضطر الجميع إلى الإسراع في العودة إلى بيته، ما عدا جو آن. وأوشكت بايلي على الاعتذار، لكن نظرة واحدة إلى جو آن أعلمتها أن هذه الاخيرة لن تصدق اعتذارها.

قطعتا الشارع إلى المطعم المضاء، وشبه الفارغ، وجلستا في مكانهما المعتاد، فتقدمت النادلة منهما مع لائحة الطعام. اكتفت جو آن بالقهوة، لكن بايلي التي كانت تشعر بجوع شديد، طلبت سندويش ديك رومي.

وما أن ابتعدت النادلة حتى قالت جو آن: «حسن جداً.. أخبريني ماذا حدث؟».

حاولت بايلي التظاهر بالبراءة وهي تعبث بأطراف المنديل الورقي: «عمَ تتكلمين؟».

فقالت صديقتها بصوت عنيد: «اتصلت بمكتبك وقت الغداء.. هل عليّ أن أدخل في التفاصيل؟».

ونظرت إلى بايلي، التي رفعت عينيها لترمقها بنظرة ارتباك، ثم أكملت: «أخبرتني بيث أنك خرجت قبل الظهر لموعد مع الطبيب، ولم تعودي بعد».

وصمتت قبل أن تضيف: «كلانا يعرف أن لا موعد لديك مع الطبيب بعد ظهر اليوم.. أليس كذلك؟».

أحست بايلي وكأنها جرذ محشور في زاوية.

ـ لا داعي لأن تقولي لي أين كنت..

ورفعت حاجبها وأردفت: «.. دعيني أخمن.. لم تستطيعي ترك الأمر وشأنه.. أليس كذلك؟ وتقديري، هو أنك لحقت باركر دايفدسون إلى موعده».

هزت بايلي رأسها يائسة.. عليها أن تحتفظ بسرّ أكثر لحظات حياتها

ذلاً فهي لم تروها حتى «الماكس» القط، الذي يسمع منها عادة كل شيء. لكن تفاصيل بعد ظهر اليوم، من الأفضل أن تنساها وألاّ تعيد التفكير فيها مرة أخرى.

حبذا لو تستطيع التوقف عن التفكير بما جرى. فقد أمضت بعد الظهر في محاولة إبعاد ذلك الرجل، ذلك المهندس اللعين، عن تفكيرها.. لكنها لم تنجح حتى الساعة.

وحثتها جو آن: «و.. ماذا؟».

ـ واجهني، يريد أن يعرف لماذا ألحق به.

أغمضت جو آن عينيها، وهزت رأسها ببطء.. وبعد لحظة، مدت يدها إلى فنجان قهوتها.

ـ أستطيع تصور ما قلته له.

ـ في البداية لم أعرف ماذا أقول.

ـ هذا ما أصدقه. لكن، وبحسب معرفتي بك، أخمّن أنك أصريت على أن تقولي له الحقيقة ولا شيء سوى الحقيقة.

ـ أنت على حق مرة أخرى.

لكن هذا لم يساعد بايلي كثيراً.

وحثتها جو آن مرة أخرى: «و.. ماذا؟».

وصل سندويش بايلي وللحظات التهت به.. لكنها لم تستطع تجنب سؤال جو آن، التي قالت محذرة: «لن تجرؤي على أخذ قضمة من هذا السندويش قبل أن تذكري لي ما قاله لك!».

ـ لم يصدقني.

وكان هذا تلطيفاً لما حدث.

ـ لم يصدّقك؟

ـ حسن جداً.. بما أنك مصرة على معرفة ما حصل، ظنني مريضة نفسية هاربة من مستشفى.

لمع الغضب في عيني جو آن، وأحست بايلي بالامتنان لها، حتى

كادت تعانقها.

وقالت جو آن بغضب: «يا إلهي.. لماذا تصرّفت بغباء وقلت له إنك كاتبة؟ لا أصدق أنك فعلت هذا».

ودست يدها في شعرها بغضب وأضافت: «لقد اخترعت الكثير من القصص وأنت تسألين عن اسمه. وتركتني عاجزة عن الكلام حين دخلت إلى مكتبه واخترعت ذلك الكلام السخيف عن أنك صديقة قديمة للعائلة.. فلماذا بحق السماء لم تخترعي عذراً مقبولاً حين واجهك؟».

ـ لم أستطع أن أفكر.

وهذه للأسف، الحقيقة بعينها.

لكن حتى ولو تمكّنت من اختراع عذر ما كان ليجديها نفعاً وهي مقتنعة بهذا تماماً.. فهو سيعرف أنها تكذب.. ولم تستطع بايلي أن ترى جدوى إغراق نفسها في الكذب أكثر كما لم يكن لديها الوقت الكافي للتفكير، بعد أن جرّها إلى الزقاق، فقد تبعت غريزتها، أكانت محقة أم مخطئة.

قالت بايلي: «وكأنك لم تحذريني.. لقد حاولت منذ لحقنا به أن تقولي لي كم إن الفكرة غبية. وكان عليّ أن أصغي إليك».

لكنها كانت يائسة جداً لتحصل على بطل على الورق. وكانت مستعدة لأن تفعل أي شيء في سبيل حلّ مشكلة مايكل.. وما لم تدركه هو أنها ستشعر بالغباء لما فعلته.. حسن جداً! لن تستمر هكذا.. لقد تعلمت درسها، ولو صدمها رجل وسيم على رأسها، فسترد عليه بضربة!

سألتها جو آن: «ماذا ستفعلين الآن؟».

ردّت بايلي من دون تردد: «لا شيء إطلاقاً».

ـ أتعنين أنك ستتركينه يعتقد أنك مريضة عقلية هاربة من المستشفى؟

ـ إذا كان هذا ما يريد أن يصدقه.. فليفعل.

حاولت بايلي أن تعطي الانطباع بأن الأمر لا يهمها. ولا بد أنها نجحت في هذا، لأن جو آن بقيت صامتة، ورفعت فنجان قهوتها ثلاث

مرات إلى فمها من دون أن ترشف منه شيئاً.. وأخيراً سألت: «ماذا سيحدث إن التقيت به في المترو، مرة أخرى؟».

حاولت بايلي جاهدة ألا تبدو مهتمة: «لا أظن أن الأمر سيشكّل مشكلة.. وما هي فرص أن نكون في المقصورة نفسها وفي الوقت ذاته، مرة أخرى؟».

ـ أنت محقة. على أي حال، بعدما حدث اليوم، سيعود على الأرجح إلى قيادة سيارته، أكان الطريق صالحاً للسير أم لا.

وفكرت بايلي أنّ ذلك سيكون نعمة من السماء.

لكنه لم يفعل.

كانت جو آن وبايلي تقفان في آخر عربة مكتظة في القطار، وتتمسكان بالقضيب الحديدي فوق رأسيهما حين أجفلت جو آن وشدت كم سترة بايلي الصوفية السميكة بقوة، وتمتمت: «لا تستديري».

كانتا محشورتين كما في علبة، ولم تكن بايلي تنوي أن تتحرك أبداً.

ـ إنه يحدق بك!

ردت بايلي هامسة: «من؟».

لم تكن حمقاء، فحين صعدت إلى القطار هذا الصباح، تفحصت العربة بسرعة، وشعرت بالارتياح حين لم ترَ باركر دايڤدسون فيها. ولم تكن قد صادفته منذ أيام، فظنت أنها لن تلتقيه مجدداً. ولعله استمر في ركوب القطار المتجه نحو الخليج، لكن لو أنه يفعل فسيلتقيان مراراً، وهذا أمر يهمها فلقائهما الثاني سيكون محرجاً مثل الأول.

قالت جو آن بإصرار: «إنه هنا.. المهندس الذي لحقت به في الأسبوع الفائت».

كانت بايلي مقتنعة بأن جميع الركاب التفتوا لينظروا إليها. وتمتمت، غاضبة من صديقتها لعدم تكتمها: «أنا واثقة من أنك مخطئة».

أشارت برأسها قائلة: «لست مخطئة.. انظري».

قامت بايلي بما في وسعها كي تبدو غير مبالية.. وحين التفتت ببطء

حولها، اعتصر قلبها، فجو آن على حق. كان باركر يقف على بعد أقدام منها، ولحسن الحظ، يفصلهما عدد كبير من الناس. لكنه كان يحدق فيها وكأنه يتوقع أن يطبق عليها رجال بمعاطف بيضاء.

وردّت بايلي نظرته.

سألتها جو آن: «هل رأيته؟».

ـ طبعاً.. وشكراً على إشارتك إليه.

ـ إنه يحدق فيك.. فماذا عليّ أن أفعل برأيك؟

ردّت بايلي بسخرية: «تجاهليه، فأنا أنوي تجاهله».

مع ذلك، ومهما حاولت أن تركز على ملصق إعلاني فوق المقاعد، فقد كان باركر دايڤدسون يسيطر على أفكارها.

سرت قشعريرة متوترة مرتجفة في جسمها، وأحسّت بنظرته المداعبة، وهي بالضبط النظرة التي حاولت وصفها في قصتها.

وبطريقة عفوية، استدارت ببطء، والتفتت إليه مرة أخرى، تتساءل عما إذا تخيلت الأمر كله.. وللحظة، بدا لها وكأن القطار قد توقف.. والتقت العينان الزرقاوان الناعمتان بالعينين السوداوين الداكنتين.. فهز تيار كهربائي جسد بايلي.. لم تختبر هذا الشعور الغريب من قبل، وملأها ذعر قطع أنفاسها. ودّت أن تبعد عينيها عنه وتدعي بأنها لا تعرفه، أو أن تفعل أي شيء لتتهرب من هذا الإحساس العجيب.

هذا هو الاحساس الذي اعترى جانيس حين التقت مايكل للمرة الأولى. ولقد أمضت بايلي أياماً تكتب هذا المشهد.. تدرس كل كلمة، كل جملة إلى أن حققت التأثير المطلوب.. كان هذا لحظة وقعت جانيس في حب مايكل. لقد قاومت، فعلت كل ما في وسعها للسيطرة على مشاعرها. لكن جانيس علقت في شباكه.

لكن بايلي أذكى من أن تؤخذ بنظرة واحدة، فقد أحبّت من قبل. ومرتين، وفي كلا المرتين انتهى حبها بكارثة. ولم تكن ترغب في تكرار هذا في وقت قريب، فقلبها ما زال ينزف من آخر تجربة.

إنها تقفز إلى استنتاجات لا أساس لها، فهي التي يتملكها إحساس غريب وليس باركر إذ بدا جلياً أنه لم يتأثر بلقائهما، بل بدا متسلياً، وكأن لقاءه بها مجدداً فرصة غير متوقعة للمرح.

تصلّبت.. وبقرار قد يؤثر على جانيس، أخفضت نظرها عنه، وأخذت نفساً عميقاً، ثم كشّرت. لكن ولسوء الحظ، كانت جو آن تنظر إليها بذهول، وكأنها تفهمها تماماً.

ـ ماذا بك.. وبه؟

أنكرت بايلي بسرعة: «لا شيء».

ـ ليس هذا ما لاحظته.

ردّت بصوت ينهي الموضوع: «أنت مخطئة».

فهمست جو آن بعد لحظتين: «مهما فعلت، فقد نجحت».

ـ لست أدري عمّ تتكلمين.

ـ عظيم.. إذا كان هذا ما تريدين مني أن أصدقه.. لكن في حال كان الأمر يهمك، فاعلمي أنه قادم نحونا.

ـ أرجو عفوك؟

وظهر العرق البارد على جبين بايلي لمجرد التفكير بمواجهة باركر دايڤدسون مرة أخرى. فمرة في العمر، كافية ووافية.. لكن مواجهته مرتين في أسبوع واحد تفوق قدرتها على التحمّل.

بكل ثقة، خطا باركر دايڤدسون إلى الأمام ليحشر نفسه قرب بايلي ويقول بعفوية: «مرحباً مرة أخرى».

ردت متصلبة، رافضة النظر إليه: «مرحباً».

والتفت إلى صديقتها قائلاً: «لا بد أنك جو آن».

ضاقت عينا جو آن وسألتها:

ـ وهل ذكرت له اسمي؟

ـ أنا.. يبدو ذلك.

ـ شكراً جزيلاً لك.

استدارت نحو باركر، وقد تغيّرت تعابير وجهها بشكل درامي لترسم ابتسامة عريضة: «أجل.. أنا جو آن».

- وهل أنت صديقة جانيس منذ أمد طويل؟

- جانيس؟

وضربت بايلي خاصرة صديقتها بسرعة: «.. أوه أنت تعني.. جانيس.. تعني جانيس هذه».

قطب باركر وسأل: «إذن، هذه كذبة أيضاً؟».

اعترفت بايلي ببرودة: «صحيح، وهذه مشكلتي في الأساس. لقد قلت لك الحقيقة، والآن وللمرة الأخيرة، أنا كاتبة، وكذلك جو آن».

وأشارت إلى صديقتها: «قولي له هذا».

أكدت جو آن بصوت ينقصه الاقتناع: «كلانا كاتبتان».

وهذا أمر لا تعلنه جو آن بملء إرادتها. لكن بايلي لم تفهم السبب يوماً، وافترضت أنه من باب التشاؤم.. لئلا يعتبرها القدر جريئة أكثر من اللازم، فتفسد بذلك فرصها في بيع كتبها.

تنهد باركر، وقطب قائلاً: «هذا ما ظننته».

توقف القطار في المحطة التالية وتحرك نحو الباب، فرفعت جو آن يدها: «وداعاً.. سرّنا أن نقابلك».

نقل نظره منها إلى بايلي وأجاب: «وأنا كذلك».

وكادت تقسم أن نظرة عينيه بدت قاسية للحظة قبل أن ينزل من العربة.

صاحت جو آن لحظة ابتعد عن النظر: «قلت له إن اسمك جانيس؟ لماذا؟».

- أنا.. لست أدري.. ذعرت.

مررت جو آن يدها على وجهها: «الآن سيصدق فعلاً أنك مجنونة».

- كان من الممكن أن تساعديني لو لم تتصرفي وكأنك لم تسمعي بكلمة «كاتبة» من قبل.

فقالت جو آن: «إنه أمر لا أقوله للجميع.. وسأكون ممتنة لو أنك لا

تعطين هذه المعلومات لأحد».

تمتمت بايلي: «أوه.. عزيزتي».

وأحست بالأسى.. فجو آن لم تنزعج منها وحسب، بل ظن باركر أنها حمقاء وليس أمامها ما تفعله لتغيّر نظرته إليها. أن يكدّرها هذا كثيراً أمر على الاخصائيين في عياداتهم أن يحللوه، لكنه أزعجها فعلاً.

لو أن باركر لم ينظر إليها بعينيه السوداوين، وكأنه يريد إعادة التفكير بتقييمه الأولي لها.

ولو أنها لم ترد نظرته وتشعر بذلك الإحساس المحير، الذي يتملّك البطلة حين تلتقي فتى أحلامها.

مرت نهاية الأسبوع، ومع أن بايلي أمضت معظم وقتها في إعادة كتابة «لك إلى الأبد» إلا أنها لم تتوقف عن تصور نظرة باركر الغريبة وهو ينزل من عربة القطار السريع.. وجرح كرامتها أنه افترض أنها كاذبة. كان تقديم نفسها باسم جانيس هاميتون كذبة.. إنما بعد ذلك، لم تقل سوى الحقيقة، وهي واثقة من أنه لم يصدّق كلمة مما قالته.. مع ذلك، كان يحيط به الغموض بحيث أمضت ساعتين ثمينتين من وقتها بعد ظهر يوم السبت في المكتبة العامة، لتجمع كافة المعلومات عنه. لكن ما جمعته لسوء الحظ قليل، وحاولت أن تسجل في ذاكرتها المعلومات التي استطاعت التوصّل إليها.

حين حلّت ساعة الغداء يوم الاثنين، غيّرت فكرها واتجهت مباشرة إلى مبنى مكاتب باركر.. ظهورها هناك قد يكسبها جائزة الشجاعة، أو جائزة الغباء الكامل.

سألتها موظفة الاستقبال حين دخلت إلى مكتب الهندسة الخارجي: «هل لي أن أساعدك؟».

إنها المرأة التي ساعدتها في المرة الأولى، وكانت اللوحة على مكتبها تحمل اسمها: روزان سنايدر.. لكن بايلي لم تلاحظ هذا خلال الزيارة الأولى.

سألت، بصوت جاد عملي، آملة ألاّ تتعرف المرأة إليها: «هل من الممكن أن أقابل السيد دايڤدسون لبضع لحظات؟».

نظرت روزان إلى دفتر المواعيد، وقالت: «أنت الفتاة التي أتت لترى السيد دايڤدسون مطلع الأسبوع الماضي.. أليس كذلك؟».

ويا له من جهد ضائع لإخفاء هويتها: «أجل».

شعرت بالإحراج لاعترافها، وأخذت تصلي لئلا يكون قد سرد تفاصيل لقائهما على موظفة الاستقبال.

ـ حين ذكرت اسمك للسيد دايڤدسون، لم يتذكر اسم العائلة.

ردّت بايلي بشكل غامض: «أوه.. لم أكن متأكدة أنه من سيذكره».

ـ هلاّ أعطيتني اسمك مرة أخرى.. وسأقول له إنك هنا.

تنهدت بصمت ارتياحاً: «بايلي.. بايلي يورك».

باركر لا يعرف اسمها الحقيقي، ولن يرفض مقابلتها بالتأكيد.

رددت المرأة الودودة: «بايلي يورك.. لكن ألست..؟».

وصمتت، تنظر إليها لحظة قبل أن تضغط على زر الهاتف الداخلي.. وبعد بضع كلمات، هزت رأسها مبتسمة: «طلب السيد دايڤدسون أن تدخلي فوراً. مكتبه آخر غرفة إلى اليسار».

وأشارت إلى الطريق.

كان الباب مفتوحاً، وباركر جالس وراء منضدته، مستغرق في دراسة مجموعة من الأوراق.. بدا مكتبه كبيراً، يطل على جسر «غولدن غايت» وجزيرة «الكاتراز». وقفت بالباب، فرفع باركر نظره، وتلاشت ابتسامته حين تعرف إليها.

ـ ماذا تفعلين هنا؟

ـ أبرهن لك أنني لست كاذبة.

وتقدمت إلى الداخل لترمي لفافة على منضدته.

سألها: «ما هذا؟».

ـ الدليل.

٤ ـ لا يهمني الحب

نظر باركر إلى العلبة التي تحتوي على مخطوطة القصة وكأنه يخشى قنبلة موقوتة ستنفجر في أيّ لحظة.

قالت بايلي بإصرار: «هيا.. افتحها».

وحين لم يفتحها، رفعت غطاء العلبة. وبارتباك تصفحت أول خمس عشرة صفحة إلى أن جمعت الفصل الأول، ورمته بين يديه.

ـ اقرأه.

ـ الآن؟

ـ ابدأ بالعنوان.

وأشارت إلى السطر المطبوع في الجهة العليا اليمنى من كل صفحة.

فأخذ يقرأ بصوت مرتفع بطيء متردد: «يورك.. لك إلى الأبد.. صفحة واحد..».

هزت بايلي رأسها: «والآن انتقل إلى النص».

وأشارت بسبابتها إلى ما تريده أن يقرأ: «الفصل الأول.. تخوّفت جانيس هامبتون من موعد العمل لأسابيع.. كانت..».

وتمتمت: «هذا يكفي. إذا أردت قراءة ما تبقى فأهلاً وسهلاً بك».

ـ ولماذا أريد أن أقرأه؟

ـ لئلا يعود لديك أدنى شك في أنني كتبته، ولكي تصدق أنني كاتبة، ولست مجنونة كاذبة. ومع أن هدف زيارتي لك وضرورة أن أبرهن لك أنني أقول الحقيقة، أمران غير واضحين بالنسبة لي بعد.. لكنهما بديا

www.elromancia.com

لي.. مهمين.

وفيما هي تتحدث، رفعت الصفحات وأعادتها إلى العلبة، وأغلقتها بقوة تكفي لتحطم الغطاء.

قال باركر بلهجة عفوية: «لقد صدقتك من قبل».

وتراجع في كرسيه وكأنه لم يتساءل أبداً عن مدى سلامة عقلها، أو صدقها.

ـ ما من أحد يستطيع اختراع قصة حول كونه كاتب رومانسي وتعكس سمات وجهه الصدق.

ـ لكنك..

ـ ما لم أكن ممتناً له هو أنك أطلقت على نفسك اسماً مزيفاً.

ـ لقد فاجأتني! فأعطيتك اسم بطلتي.. لأن.. حسن جداً.. لأنني رأيت فيك البطل.

رفع حاجبه: «هكذا إذن..».

وكان على بايلي أن تعترف: إنه حقاً بطل له أسلوبه..

وقالت بصوت منخفض: «أعتقد أنك لا ترغب في أن يلحق بك أحد».

ـ هذا صحيح.. وإليك نصيحتي، هل من الممكن أن تأخذي بها؟ في المرة القادمة حين تريدين البحث عن تفاصيل حياة رجل.. استخدمي تجرياً. أنت وصديقتك ما كان يمكن لكما أن تلفتا الانظار أكثر حتى ولو أردتما ذلك.

احترام بايلي لنفسها تلقى ضربة من هذا الرجل من قبل، وهي ليست مستعدة لجولة أخرى.

ـ لا تقلق.. لقد تخليت عن المطاردة بعد أن اكتشفت أن ما من بطل حقيقي في العالم. ظننت أنك واحد منهم، لكن..

وهزت كتفيها مضيفة: «يا للأسف.. كنت مخطئة».

وضع باركر يده على قلبه، وكأن كلماتها جرحته: «أخ.. بدأت أشعر

بالغرور لتوي، ثم أفسدت الأمر».

ـ أنا أعرف عمّا أتكلم في مسألة البطل هذه. إنهم نوع منقرض.. ما عدا على صفحات الروايات الرومانسية.

ـ صححي لي إن كنت مخطئاً.. لكن، ألا أسمع رنة مرارة في صوتك؟

أنكرت بعنف: «لست مريرة».

لكنها لم تذكر ثوب العرس الذي مال لونه إلى الاصفرار وهو معلق في خزانتها. لقد استخدمت كل قرش من مدخراتها لتدفع ثمن الثوب الأنيق، وأحست بالخزي لأنها لم تلبسه. حاولت أن تقنع نفسها بأنه استثمار لمالها، غرض سيكسب قيمة أكبر مع مرور السنين، مثل الذهب، أو الأسهم.. هذا ما قالته لنفسها.. لكنها في أعماقها كانت تعرف الحقيقة.

قالت بتصلب، وهي تأخذ المخطوطة: «أنا آسفة لتطفلي على عملك، ولن أزعجك بعد اليوم».

وقف ثم سألها: «هل تمانعين لو طرحت بضعة أسئلة عليك قبل أن تغادري؟».

دار حول منضدته واستند إليها مسترخياً.

ـ لطالما أعجبني الكتّاب.

تظاهرت بايلي بالنظر إلى ساعتها. بقي أمامها خمس وأربعون دقيقة من وقت الغداء ويمكنها أن تستغني عن بضع لحظات.

ـ حسن جداً.

ـ كم استغرقت كتابة «إلى الأبد واليوم»؟

ـ «لك إلى الأبد».. ما يقارب الستة أشهر. لكنني كنت أعمل عليها كل ليلة بعد العمل، وفي نهاية الأسبوع.. أحسست وكأنني أكملت سباق «ماراتون» حين أنهيتها، لكنني ارتكبت بضعة أخطاء يقع فيها المبتدئون.

ـ وما هي؟

ـ أرسلتها إلى دار النشر.

ـ وهل هذه غلطة؟

هزت بايلي رأسها وأجابت: «كان عليّ أن أعطيها لأحدهم كي يقرأها أولاً، لكنني مبتدئة ولا أعرف هذا.. وفيما بعد تعرفت إلى جو آن وانضممت إلى جمعية الكاتبات».

عقد باركر ذراعيه على صدره العريض وقال: «لست واثقاً من أنني فهمت.. أوليس الغرض أن يقرأ قصتك رئيس تحرير مثلاً؟ لمَ إهدار الوقت في أن يقرأها شخص آخر أولاً؟».

ـ كل مخطوطة تحتاج إلى لمسة أخيرة.. ومن المهم أن يبذل المرء جهده.

ـ أفهم من هذا أن «لك إلى الأبد» رفضت.

هزت بايلي رأسها وقالت: «ليس بعد.. لكنني متأكدة من رفضها. لقد مضى أربعة أشهر الآن، لكنني في هذه الأثناء كنت أعمل على نسخة ثانية.. وكما تقول جو آن.. لا خبر يعني لا خير».

رفع باركر حاجبيه: «هذا صحيح».

نظرت إلى ساعتها مجدداً، لكن ليس لأنها متشوقة للرحيل، بل لأنها أحست بالغباء وهي تقف وسط مكتبه الفاخر لتناقش في قصتها.. فقد راح حذرها يتراخى، والرغبة في أن تثق به تقوى.

ـ أفهم من هذا أن جو آن قرأت القصة بعد أن أرسلتها بالبريد؟

هزت بايلي كتفيها وأجابت: «أجل.. أخذتها معها إلى منزلها وأعادتها لي في الصباح التالي مع لائحة من التعليقات طولها ثلاث صفحات. حين قرأت الملاحظات أدركت كم هي على محقة، وأن المشكلة الرئيسية مع البطل».

ـ مايكل؟

دهشت بايلي لتذكره الإسم وقالت: «أجل.. مايكل. إنه رجل عظيم، لكنه يحتاج إلى المساعدة ليفهم ما تريده النساء.. وهي في هذه

الحالة جانيس هامبتون».

ـ وهنا جاء دوري؟

ـ صحيح.

ـ كيف؟

لم تكن بايلي واثقة من أنها تستطيع أن تشرح، فقالت: «البطل، على الأقل في القصص الرومانسية، رجل مصمم، قوي وبارد. حين رأيتك للمرة الأولى تركت لديّ هذا الانطباع».

ـ أكان هذا قبل أم بعد أن ضربتك بالمظلة على رأسك؟

ـ بعد.

ضحك باركر: «ألم تفكري أبداً في أن مظلتي تسببت بخلل في قدرتك على إطلاق حكم جيد.. أظن أنك لا تلاحقين الرجال في البلد، وتسجلين الملاحظات عن تصرفاتهم، أليس كذلك؟».

قالت ببرود: «لا.. كنت أنت الأول».

هذا الحديث يشعرها بالتوتر.

قال بضحكة مغرورة: «أنا مسرور لسماع هذا».

ـ ربما أنت على حق.. وربما أصبت بضربة أقوى مما تصوّرت.

ما أن تشعر بالارتياح معه، حتى يقول شيئاً يذكرها بأنه من البشر، وأي جهد لجعل شخصية مايكل على منواله، مضيعة للوقت.

ضمت القصة إلى صدرها وقالت: «يجب أن أذهب الآن، وأعتذر لتطفلي».

ـ ما من مشكلة. لقد وجدت نقاشنا.. ممتعاً.

ما من شك في ذلك، لكن هذا لم يساعد بايلي التي أدركت أنها مصدر تسلية لأحد أكبر المهندسين المعروفين في المدينة.

سألت جو آن في الصباح التالي وكانتا تقفان جنباً إلى جنب في عربة القطار المزدحمة: «وماذا قال غير ذلك؟».

لكن وقبل أن ترد بايلي، طرحت جو آن سؤالاً آخر.

- هل أتيحت لك فرصة أن تقولي له نكتة إن لقصتك بداية وعرقلة، ونهاية؟

أدهشها رد فعل جو آن، فحين اعترفت بايلي بمواجهة باركر بمخطوطتها الكاملة، أبدت جو آن حماسة للأمر. في حين افترضت بايلي أن صديقتها لن تكون ممتنة لرؤيتها باركر، وتصحيح رأيه بها.. لكن، بدلاً من هذا وافقت جو آن على ما فعلت.. وأمطرتها بالأسئلة.

أجابت بايلي: «لم يكن لدي الوقت لأروي له النكات. يا إلهي، لم أبق في مكتبه أكثر من عشر دقائق».

- عشر دقائق! قد يحدث الكثير في عشر دقائق.

وضعت بايلي ساقاً فوق ساق وجلست بصمت وبنفاذ صبر.

- صدقيني، لم يحصل شيء. برهنت ما ذهبت لأبرهنه.. وهذا كل ما في الأمر.

- بقيت هناك عشر دقائق كاملة، ولا بد أنكما تكلمتما.

- كان لديه بضعة أسئلة عن الكتابة.

هزت جو آن رأسها ببطء وقالت: «فهمت.. حسن جداً، وماذا قلت له؟».

ولم ترغب بايلي في أن تفكر في الوقت الذي أمضته مع باركر.. ليس مجدداً. لقد عادت من العمل ذلك المساء مثل عادتها، وتوجهت فوراً إلى جهاز الكومبيوتر. عادة لم تكن تطيق الانتظار لتعود إلى بيتها وتكتب، لكن بعد ظهر ذلك اليوم، جلست هناك، وبداها فوق لوحة المفاتيح. وبدلاً من تأليف حوار ما بين مايكل وجانيس، راحت تسترجع الحديث الذي جرى بينها وبين باركر.

كان ودوداً ولطيفاً، كما بدا مهتماً فعلاً حين لم يكن متسلياً. ولم تتوقع بايلي ذلك، بل توقّعت الرفض المطلق. ولقد قصدته وهي مستعدة لأن تتحدث إلى جدار حجري.

كان مايكل مثله في المرة الأولى، خشن لا يلين. وعاشت جانيس

المسكينة في ظلمة تامة عاجزة عن اكتشاف حقيقة مشاعره، وكأنما بطلها يعتبر الكشف عن مشاعره دليلاً على ضعف.

أما في المرة الثانية فبدا مايكل خنوعاً جداً، ومستسلماً، بحيث أنّ أيّ خلاف في القصة يتلاشى على الفور.

قالت جو آن تقاطع أفكارها: «أعترف أن باركر دايڤدسون يعجبني. كنت على حق حين ادعيت أنه مادة لبطل، ويجب أن تسامحيني للشك بك، لكني لم ألحق برجل من قبل».

لم تعد بايلي فجأة تفكر في مايكل ومزاجه المتغير، وقالت: «يعجبك باركر؟ أنت متزوجة».

لكزت جو آن خاصرة بايلي: «لست مهتمة به من أجلي أيتها السخيفة.. إنه لك».

لم تصدق بايلي ما سمعته: «أنا؟ أنت مجنونة!».

- لا.. لست مجنونة.. إنه طويل، أسمر، ووسيم. وكلانا يعرف كم أنّ هذه الصفات ضرورية لقصة رومانسية. كما أنّ الطريقة التي ركزت بها عليه لحظة رأيته، تثبت أن له وجوداً آسراً، وهذا ما يحتاجه البطل.

- الشيء الوحيد الذي لاحظته هو مظلته! كاد يقطع رأسي بها.

فتمتمت جو آن: «أتعرفين بماذا أفكر؟ أعتقد أنّ شيئاً ما في داخلك، تحرّك حينها. جزء منك كان يتشوق ليجد مايكل، وفي أعماق لاوعيك، سعيت إلى الحب والعواطف المشبوبة».

أعلنت بايلي بعناد: «أنت مخطئة. أنت بعيدة عن المسار الصحيح.. كتابة قصة عاطفية وبيعها هما أول اهتماماتي الآن، وأنا لست مهتمة بالحب.. ليس لنفسي».

- وماذا عن جانيس؟

السؤال كان ظالماً، وعرفت بايلي هذا، فالكثير من نواحي شخصيتها مرتبط بالبطلة.

أخيراً وصل القطار إلى محطتهما، فوقفت بايلي وجو آن واتجهتا نحو

الباب.

أصرّت جو آن على الموضوع، رافضة على ما يبدو أن تتركه.

- حسن جداً؟

خطت بايلي إلى الرصيف: «لن أجيبك على هذا، وتعرفين السبب. والآن، لطفاً تخلّي عن هذه الأفكار. فأنا أشك في أن أرى باركر دايڤدسون مرة أخرى. ولو حصل هذا، سأتجاهله، كما سيتجاهلني».

- وهل أنت واثقة من هذا؟

- واثقة تماماً.

- إذن، لماذا ينتظرك؟ هذا باركر دايڤدسون، أليس كذلك؟

أغمضت بايلي عينيها وجاهدت لتستجمع شجاعتها.. كان جزء منها يأمل بيأس أن يمر بهما باركر دون أن يلتفت ولو لثانية.. لكن جزءاً آخر، الجزء الأنثوي العميق، أمل أن يكون بانتظارها كما أشارت جو آن.

قال باركر وهو يقترب منهما: «صباح الخير سيدتاي».

ردت بايلي: «مرحباً».

وقالت جو آن بحماسة للتعويض عن نقص حماسة بايلي المؤسف: «صباح الخير!».

وابتسم لها باركر ابتسامة مذهلة أحست بايلي بتأثيرها وكأنه انحنى ليعانقها، فهزّت رأسها بسرعة لتطرد هذه الصورة من مخيلتها.

قال يوجّه كلامه إلى بايلي: «لقد فكرت قليلاً في حديثنا. وبما أنك تواجهين المتاعب مع بطلك، قد أتمكن من مساعدتك».

- وهل هذا صحيح؟

عرفت أنها اتخذت موقف الدفاع، لكنها لم تستطع منع نفسها من ذلك.

هز باركر رأسه: «أعتقد أنك لحقت بي ذلك اليوم لتعرفي بعض التفاصيل عن عاداتي، وشخصيتي، وما إلى ذلك. فما رأيك لو تناولنا الغداء معاً، لتسأليني ما تريدين معرفته؟».

أدركت بايلي أنها فرصة جيدة لها، وتعاظمت الإثارة في داخلها، لكنها ترددت. فهذا الرجل بدأ يستحوذ على أفكارها، ولسوف تسعى وراء المتاعب إن سمحت لهذا أن يستمر.

وسأل: «هل لديك الوقت بعد ظهر اليوم؟».

فردّت جو آن من دون أي تردد: «لديها الوقت.. إنها تعمل كمساعدة لمحامي وأوقات عملها مرنة.. بعد ظهر اليوم وقت رائع».

نظرت بايلي إلى صديقتها، وهي تقاوم رغبتها في أن تقترح أن تتناول هي الغداء مع باركر بما أنها متحمسة جداً للفكرة.

سأل باركر: «بايلي؟».

- أنا.. أعتقد..

ولم تبدُ لطيفة، كما أفهمتها النظرة التي رمقتها بها صديقتها، فأكملت: «هذا.. كرم منك سيد دايڤدسون».

قال باركر: «سيد دايڤدسون؟ ظننت أننا تجاوزنا مرحلة الرسميات».

وأذهلها بابتسامة كان لها تأثير الابتسامة السابقة، إذ أوهنت ركبتيها وقرارها.

قال باركر: «لنقل عند الظهر إذن؟ سألقاك عند «فيشرمان وارف» في «الساندپايپر».

كان الساندپايپر مشهور بطعام البحر الرائع، وأسعاره الباهظة. لعل باركر قادر على أن يأكل هناك، لكن هذا يفوق ميزانيتها الهزيلة.

وكررت: «ساندپايپر؟ كنت.. أفكر.. في أن ننتقي ما نأكله قرب المرفأ فهناك مقاعد عدة على امتداد «پيار 39».

عبس باركر: «أفضل ساندپايپر، إذا كنت لا تمانعين، فأنا أقوم ببعض الأعمال لهم. ومن الجيد رد الجميل».

فأكدت جو آن: «لا تقلق.. ستلاقيك هناك».

لم تحتمل بايلي أن تجيب صديقتها عنها، وقالت: «جو آن.. لو سمحت.. سأرد بنفسي».

ـ أوه.. بالتأكيد.. آسفة.

عاد باركر باهتمامه إلى بايلي، التي تنفست بحدة وهزت رأسها: «أستطيع أن ألاقيك هناك».

هذا سيعني تحضير الغداء لنفسها في الأسبوعين القادمين، وعدم الرد على أذواق «ماكس» المكلفة في طعام القطط، لكن هذا كله ليس سوى تضحية صغيرة.

كان باركر ينتظر بايلي حين وصلت إلى ساندپايبر عند الظهر. ووقف حين أوصلها رئيس السقاة إلى الطاولة.. إضاءة الغرفة، السجاد الأحمر السميك، والخشب الفخم، يخلق جوّاً حميماً دافئاً، جذب بايلي بالرغم من توترها.

لقد قصدت الساندپايبر مرة واحدة مع والديها حين زاراها من أوريغون، إذ أراد والدها أن يحتفي بها في أفخم مطعم في المدينة، واختارت بايلي الساندپايبر، المعروف بفخامته وطعام البحر الطازج.

رفع باركر حاجبه وهو يبعد لها الكرسي.. وقال: «ها قد التقينا مجدداً».

ـ أجل.. لطف منك أن تفعل هذا.

ـ ما من مشكلة.

وظهر النادل مع لائحة الطعام، لكن بايلي لم تكن بحاجة لأن تنظر إليها، لأنها تعرف ماذا تريد.. سلطة القيصر البحرية، مع القريدس (الروبيان) والسرطان، والمحّار. هذا ما تناولته في آخر زيارة لها، واستمتعت به. وطلب باركر المحار المقلي مع السلطة.. كما طلبت القهوة بعد الطعام وفعل باركر مثلها.

بعد تسجيل الطلب، أخرجت بايلي دفتر الملاحظات وقلماً من حقيبة يدها، فضلاً عن نظارتها ولائحة من الأسئلة.

ـ هل تمانع في أن نبدأ؟

مال باركر إلى الأمام وقال: «بالتأكيد».

وضع مرفقيه على الطاولة ونظر إليها بحدة: «كم عمرك يا بايلي؟ واحد وعشرين أم اثنان وعشرين عاماً؟».

ـ سبعة وعشرين عاماً.

بدا عليه العجب وهز رأسه قائلاً: «بحسب جو آن، أنت تعملين مساعدة لمحامي».

ـ يجب أن تعذر جو آن، فهي رومانسية.

ـ وهذا ما قالته عنك.

ـ أجل.. حسن جداً.. أرجو بكل تأكيد أن يكون هذا لصالحنا معاً.

رفع حاجبيه: «أوه؟».

ـ كلانا يكافح ليصبح قصصياً مشهوراً، وهذا يلزمه أكثر من الموهبة بكثير.

وصل الخبز الطري، فأخذت بايلي قطعة على الفور، وتابعت: «على الكاتب أن يشعر بالحس الأدبي. بالنسبة لجو آن وأنا، يعني هذا الكتابة من القلب. لم يمض عليّ في هذا المجال سوى بضعة أشهر، لكن هناك نساء في جمعيتنا، يقدمن أعمالهن منذ خمس أو ست سنوات، دون أن ينشر لهن شيء. كما أنّ هناك عدد من الأمور الناجحة التي نعتمد عليها».

ـ مثل ماذا؟

ابتلعت بايلي ريقها قبل أن ترد: «مثل إنهاء المخطوطة.. يتملكنا إحساس حقيقي بالاكتفاء عند إنهاء القصة».

ـ فهمت.

ـ بعض النساء يشترك في الجمعية ظناً منهن أنهن سيحصلن على نجاح سريع. فهن يعتقدن أن أياً كان يمكنه تأليف قصة رومانسية. وهن يحضرن لقاءات عدة، ثم يقررن أنّ الكتابة صعبة جداً.. وتتطلب جهداً.

ـ وماذا عنك؟

ـ أنا في هذا المشروع لمدى طويل، وفي النهاية سأبيع قصصي، لأنني لن أتوقف عن إرسالها إلى دور النشر قبل أن أنجح.

أخذ باركر قطعة خبز: «وهل أردت دوماً أن تكوني كاتبة؟».

- لا.. حتى أنني لم أكتب يوماً في صحيفة المدرسة الثانوية.. مع أنني أتمنى الآن لو شاركت فيها، ولا أعتقد أنني كنت لأجد صعوبة في بناء الجمل وتوضيح الأفكار إن اهتممت بذلك.

- إذن.. ما الذي جعلك تقررين كتابة القصص العاطفية؟

- لأنني أحب قراءتها. في الواقع، أنا أقرأها منذ كنت في الكلية، لكنني لم أبدأ بالتأليف سوى منذ سنة تقريباً.. ولقائي بجو آن شكّل دافعاً قوياً لي، وكان يمكن أن أستمر في ارتكاب الأخطاء ذاتها لسنوات لولاها. لقد شجعتني، وقدمتني إلى كاتبات أخريات، وأخذتني تحت جناحها.

وصل النادل حاملاً وجبتهما. وأدركت بايلي بخجل أنها كانت الوحيدة التي تتكلم، ولم تسأل باركر سؤالاً واحداً بعد.

كانت سلطة القيصر رائعة كما تذكرها بايلي. وبعد لقمة واحدة قررت أن تدلل نفسها بمثل هذه الوجبات دائماً، فغداء مكلف مرة في الشهر لن يخرب ميزانيتها.

قال باركر: «كنت تقولين إنه لزمك ستة أشهر لتكتبي «لك إلى الأبد».. ألا تستغرق كتابة أول قصة وقتاً أطول؟».

- بلى، لكنني كنت أخصص كل دقيقة من وقتي للمشروع.

- هكذا إذن.. وماذا عن حياتك الاجتماعية؟

حاولت جهدها لئلا تضحك، أيّ حياة اجتماعية؟ إنها تعيش في سان فرانسيسكو منذ أكثر من سنة، وهذا الموعد على الغداء مع باركر هو الأقرب إلى موعد حقيقي.

- بايلي؟

- أوه.. أنا أخرج أحياناً.

لكنها لم تذكر له أنها تخرج دائماً مع صديقة، فمنذ فسخ خطوبتها الثانية، تخلت بايلي عن أيّ علاقة مع الجنس الآخر. فقد اكتشفت مرتين متألمة أنّ عليها ألاّ تثق بالرجال.. وبعد خمسة عشر شهراً، لا يزال خداع

توم لها يؤلمها.

ولعل التغلب على ذكرى توم لم يكن صعباً لولا بول، فقد أحبته هو أيضاً في أوائل أيام دراستها الجامعية، لكنه مثل توم، وجد فتاة أخرى أحبها أكثر منها. وبقي المثال يتكرر، وبهذا وضعت بايلي حداً لكل هذا، ولم تعد تتواعد مع رجل.

مرت عليها أوقات ندمت فيها على قرارها، وبعد ظهر هذا اليوم مثال ممتاز، فقد تجد نفسها بسهولة مهتمة عاطفياً بباركر.. لكنها لن تفعل، مع أن الإغراء موجود.

باركر، بعينيه السوداوين، وابتسامته المدمرة. ولحسن الحظ أنها واعية بما يكفي لتعرف تقلبات قلوب الرجال. كانت واثقة من أمر واحد، إن باركر دايفدسون لم يصل إلى أواسط الثلاثين من عمره، وهو لا يزال عازباً، من دون أن يحطم بضعة قلوب.

مرّت عليها أوقات أخرى ندمت فيها على قرارها بعدم التواعد مع الرجال.

لا رجل يعني لا زواج، ولا أولاد.. والأولاد هم مصدر قلقها، لا سيما الأطفال الصغار، فحين تراهم يصدمها قرارها بعنف. فبدون زوج، لن ترزق بطفل.. لكن، حتى الساعة ما كان عليها إلاّ أن تتجنب الأماكن حيث يمكنها أن تلتقي بأمهات مع أولادهن. فبعيد عن العين بعيد عن القلب..

- بايلي؟

تمتمت: «أنا آسفة.. هل قالتني شيء ما؟».

- لا.. بدت نظرتك متألمة، وتساءلت عما إذا كان هناك خطب ما في السلطة.

- لا.. إنها رائعة.. ممتازة كما أذكرها.

وقصت عليه باختصار قصة دعوة والديها على العشاء هنا. لكن، ما لم تشرحه له هو أن زيارتهما كانت بغرض التأكد من حالة بايلي، لأنهما

قلقان عليها، وأصرا على أنها تعمل جاهدة، ولا تخرج بما يكفي، ولا حياة اجتماعية لديها.

استمعت بايلي بأدب إلى ما يقلقهما واحتضنتهما معاً، وشكرتهما على حبهما، ثم أعادتهما إلى أوريغون.

تنهدت بايلي وهي تلمح دفتر ملاحظاتها والقلم إلى جانب طبقها، فهي لم تسأل باركر سؤالاً واحداً بعد، وهذا هو سبب لقائهما كله. ونظرت إلى ساعتها متأوهة في سرها، لم يعد لديها سوى ربع ساعة، وهذا الوقت لا يستحق عناء البدء، لا سيما وأنها مضطرة لأن تتوقف بعد حين.

قالت بأسف: «يجب أن أعود إلى العمل».

والتفتت نحو النادل لتطلب الحساب، فقال لها: «الحساب مدفوع».

لزم بايلي لحظات لتدرك أن باركر يحدثها عن وجبة الطعام.

ـ لن أدعك تفعل هذا.

ومدت يدها إلى حقيبتها، فقال: «أرجوك».

لو أنه جادلها، وأبدى شيئاً من التحدي الرجولي المتعصب، لما سمحت له بايلي بأن يدفع. لكن هذه الكلمة الوحيدة التي قالها بلطف، كانت كافية لتثبط عزيمتها.

ردت بصوت منخفض ناعم مثل صوته: «حسن جداً».

ـ لم تتح لك فرصة طرح أسئلتك.

ووجدت هذا مثيراً للسخط، لكن لا أحد تلومه على ذلك سوى نفسها: «أعرف.. لقد انسجمت في الحديث عن القصص العاطفية والكتابة و...».

ـ هل نحاول مرة أخرى.. في وقت آخر.

ـ يبدو أننا سنحتاج إلى ذلك.

وكان عليها أن تكون حذرة لئلا يتحول الغداء معه إلى عادة.

قال: «أنا حر مساء الغد».

ـ في المساء؟

بطريقة ما، بدا لها موعد العشاء مهدداً أكثر من لقاء على الغداء.

ـ أوه.. أنا في العادة، أخصص ساعات ما بعد العمل للكتابة..

ـ هكذا إذن.

وتعاطف قلبها مع رنة خيبة الأمل في صوته، فقالت: «لكن لكل قاعدة استثناء».

وأحست بالذعر لحظة نطقت بالكلمات.. فلساعة كاملة، كانت تعظ نفسها حول عدم التقرّب من باركر، وتداركت بحزم: «لا.. من المهم أن أحافظ على مواعيد الكتابة».

ـ هل أنت واثقة؟

ـ طبعاً.

أخرج باركر بطاقة عمل من جيبه، وكتب عليها شيئاً ما وأعطاها إياها.

ـ هذا رقم هاتف منزلي في حال غيرت رأيك.

أخذت بايلي البطاقة، ودستها في حقيبة يدها، مع القلم ودفتر الملاحظات.

ـ أنا حقاً مضطرة لأن أكتب.. أعني، مواعيد الكتابة ضرورية لي، ولا يمكنني أن أخرج في موعد على العشاء لمجرد أن شخصاً ما طلب مني ذلك.

وقفت، وأرجعت كرسيها إلى الخلف بصوت حاد مشوقة للخلاص.

ـ اعتبري الأمر بحثاً.

هزت بايلي رأسها وقالت: «شكراً لك على الغداء».

ـ أنت على الرحب والسعة.. لكنني آمل أن تعيدي النظر في مسألة تناول العشاء معي.

تراجعت عن الطاولة وحقيبتها بين يديها.. وكررت: «العشاء؟».

ـ لغرض البحث.

ـ ولن يكون موعداً حقيقياً؟

www.elromancia.com

كان من المهم أن توضح هذا.. فالرجل الوحيد الذي تخصص له وقتها الآن هو مايكل.. لكن، من المفترض أن يساعدها باركر على صياغة شخصية مايكل.. لذلك.. ربما..

وكررت بصوت أكثر تصميماً: «ليس موعداً.. مجرد بحث، موافق؟».

ضحك، ولمعت عيناه بخبث: «وما رأيك؟».

***

٥ ـ شرارة أم سحر؟

كان «ماكس» ينتظر عند الباب حين وصلت بايلي إلى المنزل من عملها. ذنبه الأصفر المخطط بدا مستقيماً وهو يتلوى عند قدميها ليذكرها بموعد وجبته.

تمتمت: «لحظة واحدة يا ماكس».

وأخذت تتصفح البريد وهي تدخل المطبخ، لكنها توقفت حين رأت ورقة صفراء.

ـ مياو..

قالت: «ماكس، انظر..».

ولوحت بالورقة الصفراء قائلة: «لدى السيدة مورغان لفافة لنا».

لطالما كانت المسؤولة عن الشقق لطيفة فتستلم ما يصلها من طرود، لتوفر على بايلي رحلة إلى مكتب البريد.

تركت ماكس الساخط، وسارعت بايلي تنزل السلم إلى شقة السيدة مورغان، التي استقبلتها بابتسامة دافئة.. وكانت السيدة مورغان امرأة مسنة وأرملة وقورة، تظهر الحماية للمستأجرات الصغيرات في السن.

أعطت بايلي مغلفاً كبيراً من الورق السميك الأسمر قائلة: «هاك عزيزتي».

وعرفت بايلي لحظة رأت المغلف أنه ليس مفاجأة غير متوقعة من والديها، بل مخطوطة قصتها مرفوضة.

قاومت لتخفي خيبة أملها، وقالت: «شكراً لك».

www.elromancia.com

ما إن قرأت بايلي نقد جو آن، حتى أدركت أن «لك إلى الأبد» ستعود مرفوضة. لكن ما لم تتصوره هو هذا الإحساس المزعج في معدتها.. هذا الشعور بالإحباط الكامل.. لقد استبقت دار كوين للنشر هذه المخطوطة لما يقارب الأربعة أشهر، فبدأت بايلي تصدق أن رئيسة التحرير احتفظت بقصتها طويلاً لأنها تفكر جدياً في شرائها.

توقعت بايلي أن تعيد كتابة قصتها، لكن على أساس عقد كبير في جيبها، يحملها عالياً على أمواج النجاح.

وكان ماكس ينتظر قرب الباب، لكنه بدا هذه المرة نافذ الصبر أكثر. ودون تفكير، رمت بايلي الطعام في طبقه.. ولم تدرك أنها أعطت قطها الجشع العشاء الذي كانت تنوي أن تحضره لنفسها، إلا بعد فوات الأوان.

وانقضّ ماكس على الفور على قطعة الديك الرومي، بعد أن شق طريقه من بين قدميها متلهفاً. وهزت بايلي كتفيها، فهي لم يكن لديها أيّ شهية للطعام.

لزمها خمس دقائق أخرى لتستجمع شجاعتها وتفتح المغلف.. وبحذر، تفحصت ختم المغلف.. لماذا كل هذا الحذر؟ إذ لم يكن في نيتها إعادة استخدام المغلف. وما إن فصلت الختم حتى أخرجت المخطوطة، وقرأت بسرعة الرسالة المطبوعة المرفقة بها.. ابتلعت الغصة التي سدت حلقها، ولم يخفف من خيبة أملها أن الرسالة شخصية، وليست رسالة رفض بسيطة.

رفعت سماعة الهاتف، واتصلت بجو آن. لقد مرت صديقتها بهذه التجربة أكثر من مرة، وهي واثقة من أنّ لديها بضع كلمات حكيمة لتساعدها في هذه اللحظات.. ولسوف تفهم جو آن كم أن ثقتها بنفسها اهتزت.

رن الهاتف لكن لم يجبها سوى جهاز الرد الآلي.. أصغت إلى الرسالة لكنها لم ترغب في ابلاغ جو آن هذا الخبر السيء عبر الآلة، لذا تمتمت متجهمة: أنا بايلي.. وعلقت السماعة.

ذرعها لشقتها لتسكين مشاعرها لم يساعدها.. ونظرت إلى جهاز الكومبيوتر، الموضوع في زاوية غرفة الجلوس الصغيرة، لكن الرغبة في الكتابة بدت معدومة.

لقد حذرتها جو آن، وكذلك آخرون في الجمعية من أنّ الرفض مؤلم. لكنها لم تتوقع أن يؤلمها إلى هذا الحد.

بحثت في حقيبة يدها عن حبة سكاكر، فأطبقت أصابعها على بطاقة عمل، بطاقة باركر، وسحبتها ببطء. لقد كتب عليها رقم هاتف منزله..

هل تتصل به؟ وقررت ألا تفعل. دست البطاقة في جيبها، لماذا فكرت في الاتصال به؟ فالحديث مع باركر الآن غباء، وفيه مخاطرة. إنها فتاة ناضجة، ويمكنها تحمل الرفض. من يريد أن يصبح كاتباً عليه أن يتعلم كيف يتعامل مع الرفض.

الرفض هو درجة على سلم النجاح، هذا ما قالته إحداهن في أحد الاجتماعات، وسجلت بايلي هذه الكلمات على ورقة ألصقتها على الحافة السفلى للكومبيوتر. والآن عليها التصرف على أساس هذا القول، وبما أنّ هذه الدرجة هي الأولى، فإن أمامها مسافة طويلة تقطعها، لكن السلم اللعين أكثر صعوبة مما توقعت.

وبتردد، عادت إلى المطبخ وأعادت قراءة رسالة من باولا أولبرايت، رئيسة التحرير في دار نشر كوين، التي تقول إنها تعيد المخطوطة «مع الأسف».

وتمتمت بايلي توجه الكلام إلى ماكس، المشغول بالتمتع بعشائها: «ليس بقدر الأسف الذي أشعر به.. وتقول إنني كاتبة واعدة».

المشكلة الأساسية، بحسب قول المحررة، تكمن في مايكل.. ولم يثر هذا دهشة بايلي.. وأشارت الآنسة أولبرايت مشكورة إلى قصص مشهورة تحتاج إلى إعادة صياغة، وأنهت رسالتها بالقول لبايلي إنها لو أعادت كتابة القصة، فسيسر قسم التحرير أن يعيد التقييم.

أمر غريب.. لم تلاحظ بايلي هذا الكلام حين قرأت الرسالة للمرة

الأولى. إن أعادت صياغة العمل فلديها فرصة.

بحماس مفاجيء، أخذت بايلي الهاتف.. لقد غيرت رأيها.. وبدا لها الاتصال بباركر فكرة جيدة، لا بل فكرة عظيمة. ولعلها فرصتها الوحيدة لإصلاح أمر مايكل المسكين.

رد باركر على الهاتف بشيء من العصبية والتوتر.

قالت بايلي، آملة ألاّ تبدو غبية: «باركر.. أنا بايلي يورك».

فرد بلهجة أقل سخطاً: «مرحباً».

وجف فمها تماماً، لكنها سارعت تفصح عن سبب اتصالها: «أريدك أن تعرف أنني.. كنت، أفكر بدعوتك على العشاء، هل يمكنك أن تلاقيني الليلة بدلاً من الغد؟».

إنها تريد أن تصحح شخصية مايكل في أسرع وقت ممكن.

ـ وهل هذه بايلي يورك التي تتكلم فعلاً؟

وبدا وكأنه لا يتذكرها.

قالت مؤكدة: «الكاتبة التي التقيتها في القطار السريع».

وأخذت تشعر بالغباء مع مرور الثواني. ما كان عليها أن تتصل به، لكن الاندفاع كان قوياً جداً. فلقد تشوقت لأن تضع هذا الرفض وراء ظهرها وتكتب قصة رومانسية مؤثرة. إنما ستحتاج إلى مساعدته، وربما عليها أن تتصل به في وقت آخر.

ـ اسمع.. إذا لم يكن الوقت مناسباً، سأتصل في وقت آخر.

وكانت على وشك إنهاء المكالمة حين قال باركر: «الوقت مناسب. آسف لأنني بدوت متردداً.. فقد كنت أعمل، وأميل عادة إلى الاستغراق في مشروعي».

اطمأنت لتفسيره وقالت: «هذا ما يحصل معي».

وأخذت نفساً عميقاً وشرحت سبب اتصالها غير المتوقع.

ـ لقد أعيدت إلي «لك إلى الأبد» مرفوضة اليوم.

ـ أنا آسف لسماع هذا.

وبدا أسفه حقيقياً، وعاد الإحساس الغريب المرتجف إلى معدتها بسبب التعاطف الذي أبداه.

ـ وأنا أيضاً شعرت بالأسف، لكنها لم تكن صدمة كبيرة. أعتقد أنني تركت آمالي تتعاظم حين لم يعيدوا المخطوط على الفور. وهذا الأمر حذرتني جو آن منه.

نقلت السماعة إلى الأذن الأخرى، ودهشت لأنها تشعر بالتحسن بعد أن وجدت من تتحدث إليه.

ـ وماذا يحدث حين يعيد ناشر مخطوطة كتاب؟ هل ينتقدونه؟

ـ يا إلهي.. لا.. تعادالمخطوطة عادة مع رسالة رفض.. لكن رئيسة التحرير اقتطعت من وقتها لتكتب لي شخصياً عن إعادة صياغة الشخصيات، مما يعتبر مريحاً. في الواقع، هذه دلالة ممتازة، وهي مستعدة لإعادة النظر في «لك إلى الأبد» مجدداً.

صمتت بايلي، وتنفست بارتجاف قبل أن تضيف بتلعثم: «كنت أتساءل عما إذا بإمكانك أن تفي بدعوتك على العشاء. أدرك أنّ المهلة قصيرة، وربما ما كان عليّ أن أتصل.. لكن الليلة هي الأفضل بالنسبة لي لأنني.. لأنني، وبإهمال غير مقصود، أعطيت ماكس عشائي ولم يعد هناك في البيت ما آكله.. إنما، إذا لم تكن قادراً.. سأتفهم..».

وتسارعت الكلمات في توتر ظاهر، فحين بدأت، بدا لها أنها لا تستطيع أن تتوقف.

ـ هل تريدين مني أن أمر لاصطحابك أم تلاقيني في مكان ما؟

وبالرغم منها، ذهلت بايلي، إذ لم تكن تتوقع أن يوافق باركر. وقالت: «آه.. المطعم الذي تناولت فيه الغداء منذ أسبوعين.. يبدو جيداً.. لكن أرجوك.. أصرّ على الدفع هذه المرة».

ـ في الحي الصيني؟

ـ أجل.. هل تلقاني هناك؟

ـ طبعاً.. هل يكفيك ساعة؟

ـ أوه.. أجل.. الساعة كافية ووافية.

ووجدت بايلي نفسها مجدداً معقودة اللسان دهشة.. وسعادة.

انتهى حديثهما بسرعة جعلتها تقف محدقة في السماعة، تتساءل عما إذا حدث فعلاً، وأخذت نفساً عميقاً، ثم سارعت إلى غرفة نومها لتغير ملابسها، وتجدد تبرجها، تسرّح شعرها.

كانت بايلي تحب الطعام الصيني، خاصة أطباق «الزيشوان» المطيبة بالتوابل.. لكنها لم تكن تفكر في العشاء حين توقفت سيارة الأجرة أمام المطعم. قررت تدليل نفسها هذا المساء باستئجار تاكسي إلى «تشاياناتاون».. وإن كان هذا يعني أن تعود إلى البيت بقطار الأنفاق السريع.

وجدت باركر أمام المطعم ينتظرها، وأسرع ليفتح لها باب سيارة الأجرة.. أحست بايلي بيده وهي تسند مرفقها، ليساعدها على الترجّل.

ابتسمت له قائلة: «لطف منك أن تقابلني من دون موعد سابق».

ـ ما من مشكلة.. من هو ماكس؟

ـ إنه هرّي.

ضحك باركر، ودس يده بثبات تحت مرفقها، وقادها إلى داخل المطعم. أول ما أسر اهتمام بايلي هو الثريا العملاقة من الخشب اللماع. ولم يكن لديها الوقت الكافي لتتفحصها إذ رافقهما النادل في ممر طويل إلى غرفة ضيقة مليئة بحجيرات خشبية، تشكّل كل واحدة منها غرفة مستقلة.

قالت وهي تتنفس بارتياح: «أوه.. يا إلهي.. هذا رائع».

واندست في حجيرتهما، وأنزلت الحقيبة من على كتفها، ثم أخرجت دفتر الملاحظات والقلم اللذين حملتهما معها عند الغداء.

ظهر النادل حاملاً ابريق شاي خزفي جميل وفنجانين مماثلين، وقائمة الطعام الحمراء المستطيلة الشكل تحت ذراعه.

لم تستطع بايلي اختيار الطعام بسهولة كما حصل في مطعم

«ساندپايپر».. واقترح باركر أن يطلب كل منهما ما يشاء ثم يتشاركانه. كان هناك الكثير من الأطباق، وبدا معظمها لذيذاً، بحيث لزم بايلي عشر دقائق لتختار، معجنات مع القريدس «الروبيان» المطيّب، فيما اختار باركر الدجاج المقلي مع اللوز.

صبت بايلي الشاي لكليهما قائلة: «حسن جداً، والآن دعنا نعمل».

استرخى باركر في جلسته، وطوى ذراعيه، ومد ساقيه: «بالتأكيد..».

وأشار بيده حين ترددت، مضيفاً: «اسألي».

ـ ربما عليّ أن أبدأ بإعطائك لمحة سريعة عن القصة.

ـ طبعاً.. أي شيء قد يساعدك.

قالت شارحة: «أريدك أن تفهم مايكل.. إنه رجل أعمال، مرير بعض الشيء، لكنه تعلم أن يسامح من يؤذيه. وهو في أواسط الثلاثين من عمره، ولم يتزوج أبداً».

ـ ولمَ لا؟

ـ حسن جداً.. أولاً، كان مشغولاً بمستقبله العملي.

ـ وما هو عمله؟

ـ إنه يعمل في مجال التصوير.

ـ فهمت.

ـ أنت عابس.

لم تطرح بايلي بعد أيّ سؤال مما أعدته، ومع ذلك بدا باركر منزعجاً.

ـ لا يصل الرجل عادة إلى سن الخامسة والثلاثين، من دون علاقة أو أكثر. وإذا لم يكن لديه أيّ علاقات، فهناك مشكلة.

ـ أنت تجاوزت الثلاثين من عمرك، ولست متزوجاً. فما هو عذرك؟

هزّ باركر كتفيه وأجاب: «كان برنامج دراستي الجامعية مكثفاً جداً، فلم يترك لي الكثير من الوقت للخروج مع الفتيات. فيما بعد سافرت كثيراً، وهذا مرة أخرى لم يعطني فرصة. أقمت، في الواقع، علاقات،

لكنها لم تنجح. أعتقد أن بإمكانك القول إنني لم أجد المرأة المناسبة.. لكن هذا لا يعني أنني غير مهتم بالزواج والاستقرار يوماً.

ـ بالضبط.. هذا ما يشعر به مايكل.. ما عدا أنه يظن أنّ الزواج سيعقّد حياته، وهو على استعداد لأن يقع في حب جانيس.. لكنه لا يدرك ذلك.

هز باركر كتفيه: «فهمت.. تابعي.. ما كان عليّ أن أقاطعك».

ـ حسن جداً.. في الأساس، سارت حياة مايكل بسلاسة إلى أن التقى جانيس هامبتون. وكان والدها قد تقاعد، وتولت هي أعمال مؤسسته الصناعية.. وهذا العمل هي مؤهلة له جيداً.

ـ وماذا تصنّع؟

ـ كنت غامضة حول هذا الشأن قليلاً.. لكنني تركت للقارىء إمكانية أن يفترض أن لعملها علاقة بقطع غيار الكومبيوتر.. وأوردت كلمة هنا وهناك لأعطي هذه الفكرة.

هز باركر رأسه وقال: «تابعي.. سأحاول ألاّ أتدخل مرة أخرى».

ردّت متصلبة: «لا بأس، على أي حال كان والد جانيس معجب بمايكل منذ زمن طويل.. وأراد العجوز أن يجمع بين ابنته ومايكل.. وبالطبع، لم يكن أي منهما على علم بذلك.. ليس في البدء على الأقل».

أخذ باركر إبريق الشاي وصبّ منه مجدداً في فنجانيهما.

ـ يبدو هذا جيداً.

ـ شكراً لك. بدأ والد جانيس بأول مناورة في حفلة عيد الميلاد، وتوقّع الجميع أن يتعانقا، لكن مايكل غضب و..

رفع باركر يده مقاطعاً: «مهلك لحظة.. دعيني أرى إذا ما فهمت كلامك بشكل صحيح. وقف هذا الرجل تحت إكليل النبات المتعرش مع امرأة جميلة.. وهو غاضب.. فما خطبه؟».

ـ ماذا تعني؟

ـ ما من رجل في كامل قواه العقلية يعترض على تقبيل امرأة جميلة.

حملت بايلي فنجان الشاي واستندت إلى ظهر المقعد الخشبي، تفكر.. باركر على حق. جانيس كذلك لم تكن سعيدة في هذا الموقف. أوليس هذا أمر لا يصدق؟ وتصورت أنها تقف مع رجل مثل باركر دايڤدسون.. لكنها أبعدت هذه الفكرة عن رأسها وقد أحست بالذنب، وصبّت اهتمامها على كلامه.

وسمعته يقول مفكراً: «إلا إذا...».

ـ ماذا؟

ـ إلا إذا عرف أن والدها وضع الخطة ليعانقها، وكره ذلك.. وقد يظن أنها متآمرة مع أبيها.

أشرق وجه بايلي، وهزّت رأسها، ثم سجلت الملاحظة في دفترها.

ـ أجل.. هذا سينجح.

باركر بارع في طرح الأفكار مثل جو آن وهذه مفاجأة سارة.

وتنهد متردداً: «مع ذلك.. المرأة الجميلة هي امرأة جميلة.. ويجب ألاّ يعترض بشدّة، مهما كانت الظروف. وماذا يحدث حين يعانقها؟».

ـ لا يحدث الكثير، فهو يفعل ذلك متذمراً. لكنني قررت أن أغيّر هذا الجزء. أنت على حق، يجب ألاّ يحتجّ كثيراً. على أي حال، يحدث هذا في مطلع الكتاب، وكلاهما لا يعرف مخطط والدها، ولا أريد أن يكتشف القارىء باكراً ما سيحدث.

كان عقل بايلي يعمل بسرعة وهي تعيد التفكير في المشهد.. تصوّرت مايكل وجانيس يقفان وكلاهما غير مرتاح للموقف.. لكن، وكما اقترح باركر، يجب ألاّ يكون الاعتراض قوياً.. ستعتقد جانيس أنه سيعانقها وحسب، إلى أن يحصل العناق فعلاً.

وهذا هو الجزء الذي تنوي تغييره، والعمل عليه. حين يتعانقان سيكون الأمر أشبه بصّب الماء على الزيت الساخن.. ستكون ردة الفعل عظيمة.

بدأت الفكرة تتبلور في رأسها. لن يقاوم مايكل وجانيس مؤامرة

والدها المثيرة للسخط، بل ستتحول إلى معركة مع مشاعرهما نحو بعضهما البعض.

همست بايلي: «هذا عظيم.. حقاً عظيم».

وبدأت تشرح لباركر خطتها حين قاطعهما النادل الذي جاء بالعشاء، ووضع أمامهما مجموعة أطباق يتصاعد البخار منها.

وكانت بايلي قد استعادت شهيتها، فمدّت يدها إلى العيدان التي يستخدمها الصينيون لتناول الطعام.

ـ أنت أولاً.

أشار بيده مشجعاً: «لا.. أنت».

ابتسمت، ومدت يدها مجدداً. وبدا الموقف حميماً ومريحاً، مع أنهما لا يزالان غريبين.

أكلا بصمت لدقائق، وراقبت بايلي باركر يستخدم العيدان بمهارة. إنها المرة الأولى التي تتواعد فيها مع رجل بارع في استخدامها مثلها تماماً.

تتواعد مع رجل.

قفزت الكلمات أمام عينيها، كإشارات محذرة. ورفعت نظرها، تحدّق متسعة العينين في الرجل الجالس قبالتها على الطاولة.

ـ بايلي؟ هل أنت بخير؟

هزت رأسها ونظرت بعيداً بسرعة.

ـ هل قضمت فلفلاً حاراً أو شيئاً ما؟

هزت رأسها بسرعة وهي تؤكد له: «لا.. أنا بخير.. أنا بخير حقاً».

لكنها لم تكن كذلك، وشكت في أن يعرف ذلك.

بالطبع، ما من وسيلة ليعرف عن تجربتها مع باول أو توم. ولا يمكنه له كذلك أن يعرف بوجود ثوب عرس غير مستخدم في خزانتها، يعذبها كل صباح وهي تستعد للعمل.. وكان ثوب العرس هذا يذكرها دائماً بألاّ تضع ثقتها في رجل.

وقد سمحت لحذرها بأن يسترخي الآن، وقبل أن تدرك، ستثق مجدداً برجل.. وهذه غلطة لا تفتقر. يُشعرها باركر بالأمان، فهو رجل شريف وقور وصادق، وهنا تكمن المخاطرة. لعله بطل حقيقي، لكنها خدعت مرتين من قبل، ولن تعرّض قلبها لهذه التجربة مرة أخرى.

تقاسما الحساب، ولم يكن باركر سعيداً بهذا، لكن بايلي أصرت.

وقال باركر وهما يوشكان على المغادرة: «قلت شيئاً عن إعادة كتابة ذلك المشهد في عيد الميلاد».

استعادت شيئاً من حماسها السابق وردت: «أجل.. سأجعل لذلك تأثيراً قوياً عليهما. لقد ساعدني اقتراحك جداً، ولا أستطيع أن أعبّر لك كم أنا ممتنة لمقابلتك لي في آخر لحظة».

ولم يجب باركر وكأنه لم يسمعها، وفتح لها الباب ليخرجا إلى الرصيف المزدحم.

قالت بايلي بصوت مرتفع: «أنت مقطب».

ـ هل اختبرت يوماً ذلك النوع من الأحاسيس حين يعانقك رجل؟

لم تكن بايلي بحاجة للتفكير: «ليس في الواقع».

ـ هذا ما اعتقدته.

ـ لكنني أحب فكرة حدوث هذا بين جانيس ومايكل، فهو يعطي بُعداً جديداً لحبكة القصة كلها، وأستطيع استغلال ذلك.. كما أنّ هناك عنصر من الخيال في القصة الرومانسية، نظرة أكبر من الحياة ذاتها.

ـ أوه.. أنا لا أقول إنه يجب ألاّ تحدث أيّ ردة فعل قوية بينهما، لكنني أتساءل كيف تخططين لوصف مثل هذا الإحساس القوي من دون خبرة حقيقية.

تجاهلت تعليقه المتملق وردّت: «هذه علامة الكاتب الجيد. إن تصوير جو رومانسي لا يلزمه سوى شيء من الخيال، ولا تتوقع مني أن أختبر عناق رجل غريب».

ـ ولمَ لا؟ لم تخشي اللحاق برجل غريب.. وعناقي لن يكون

www.elromancia.com

مختلفاً. فكل هذا «بحث».

ـ عناقك؟

ـ سيضيف هذا بعض المصداقية على كتابك، وثقة بالنفس قد لا تحصلين عليها بطريقة أخرى.

واضطرت بايلي لمجادلته قبل أن تجد نفسها مضطرة للموافقة معه على جنونه!

ـ لو كتبت قصة بوليسية غامضة، فهل تقترح أن أقتل أحدهم؟

ـ لا تكوني سخيفة! الجريمة غير مطروحة وغير مقبولة. العناق في متناول يدك أكثر، وسيضفي مصداقية على قصتك. أقترح أن ننفذ الفكرة يا بايلي.

كانا يسيران جنباً إلى جنب، وبايلي مستغرقة في أفكارها حين استدار باركر بطريقة عفوية متجهاً إلى زقاق ضيق، افترضت أنه الزقاق ذاته الذي جرها إليه يوم لحقت به.

وضع يديه على كتفيها، ونظر إلى عينيها: «حسن جداً.. هل ستلعبين اللعبة؟».

هل ستفعل؟ لم تعد تعرف شيئاً. إنه على حق، سيكون للمشهد تأثير أقوى إن اختبرت المشاعر نفسها مثل جانيس. وعناق باركر سيكون مشابهاً لعناق مايكل. وقد يتعلق بيع كتابها على بمدى قدرتها على تصوير المشاعر بين البطل والبطلة في الفصل الأول والأكثر أهمية.

وافقت، بصوت بالكاد عرفته: «حسن جداً».

ما أن تكلمت حتى أمسك بذقنها.. وسمعته يهمس: «سيكون هذا رائعاً».

وأغمضت بايلي عينيها.. إنه على حق، هذا جيد، لا بل رائع. أحست بالضعف والدوران، وتشوقت للشعور بضعف أكبر ودوار أعظم. وبالرغم منها، تعلّقت بباركر، خشية أن تتهاوى إلى الأرض.

كان عناقه دافئاً ومألوفاً، وكأنها أمضت حياتها بين ذراعيه، وكأنما

مقدر لها أن تمضي ما تبقى من عمرها هناك.

أحست بالغرابة والسخونة وخشيت أن تفقد سيطرتها على نفسها كلياً، إذا ما استمر هذا الوضع طويلاً.

توسلت: «أرجوك.. توقف».

ودفنت وجهها في كتفه، وأخذت تتنفس ببطء وعمق محاولة السيطرة على ارتجافها.

ليس من الإنصاف أن يجعلها باركر تشعر بكل هذا.. هذا أفضل ما يمكن أن يحدث لجانيس ومايكل، لكنه الأسوأ بالنسبة لها.. فهي لا تريد أن تشعر بأي شيء من هذا.. والدرع الواقي حول قلبها يكاد يتفتت، مع أنها في أمسّ الحاجة إليه.

لمسة يده على شعرها جعلتها تتراجع مبتعدة عنه. وقالت، ما إن استطاعت أن تنطق: «حسن جداً.. إنها خطوة في الاتجاه الصحيح».

نظر إليها باركر وكأنه غير متأكد من أنه سمعها بشكل صحيح، وسأل: «أرجو عفوك؟».

ـ أعني هذا العناق.. كان حيوياً ومثيراً فضلاً عن تمتعه بالسحر.. لكنني كنت أبحث عن شعور ما.. أكبر.. العناق بين جانيس ومايكل يجب أن يحمل.. شرارة.

قال باركر بصوت عميق كئيب: «لقد كان في عناقنا شرارة».

وصححت له: «سحر».

ثم أضافت بمرح: «مع ذلك، اعترف أنك بارع في هذا، وتتمتع بتجربة كبيرة. صحيح؟ حسن جداً.. يجب أن أذهب. شكراً مرة أخرى على لقائي من دون موعد سابق، إلى اللقاء».

وبشكل مدهش، لم تتكسر الابتسامة التي على شفتيها.. وأثار دهشتها أكثر، أنها تمكنت من الابتعاد عنه بالرغم من أن ساقيها بالكاد حملتاها.

وفي طريقها إلى محطة قطار الأنفاق السريع، التي توجهت إليها

بأقصى سرعتها، وهي تتمتم بأنها تتصرف بحماقة كلما اقتربت من باركر دايڤدسون، توقفت قربها سيارة رياضية بيضاء.

قال بتجهم: «اصعدي».

وفتح لها الباب. فكررت: «أصعد؟ سأستقل القطار السريع».

ـ ليس في هذا الوقت من الليل. لا، لن تفعلي.

ـ ولماذا يجب ألاّ أفعل؟

ـ لا تتلاعبي بحظك أكثير يا بايلي.. اصعدي وحسب.

أخذت تفكر بما إذا عليها أن تصعد معه. لكن من العناد الذي ظهر في عينيه وعلى فكه، رأت أن لا فائدة من أن تجادله، فهي لم ترَ في حياتها مثل هذا الفك العنيد. وهو أول ما لاحظته في باركر.

قال بعد أن صعدت إلى جانبه: «أعطني عنوانك».

أعطته عنوانها وهي تضع حزام الأمان، ثم جلست بصمت وهو يشق طريقه ما بين السيارات.. توقفت السيارة بحدة عند ضوء أحمر، وخاطرت بنظرة نحوه.

وسألت: «لمَ أنت غاضب هكذا؟ تبدو وكأنك ترغب في قطع رأسي».

ـ لا أطيق أن تكذب عليّ امرأة.

سألته ساخطة: «ومتى كذبت؟».

ـ منذ دقائق حين قلت إن عناقنا.. ناقص.

وضحك من دون مرح وهو يهز رأسه مضيفاً: «لقد ولدنا من الكهرباء أكثر مما يولد سد «هوڤر» في شهر، أنت تريدين خداع نفسك. حسن جداً، لكنني لن ألعب لعبتك».

فقالت بتزمت محتشم: «أنا لا ألعب أيّ لعبة.. ولا يسرّني أن تهاجمني مثل «كينغ كونغ» لمجرد أن تقديري لما حصل بيننا لا يتناسب مع تقديرك».

قال ساخراً: «ما حصل؟ كان عناقاً يا حبيبتي».

ـ لقد وافقت عليه لغرض البحث فقط.

ـ إذا كان هذا ما تريدين تصديقه، فلا بأس.. لكن كلانا أذكى من ذلك.

تمتمت: «مهما يكن!».

يمكنه أن يظن ما يشاء، وستدعه يوصلها إلى بيتها لأنه يبدو مصمماً على ذلك.. لكن من الواضح أنه يعلّق أهمية كبرى على ما جرى، أكبر مما كانت تتوقع.

حسن جداً.. لقد تملكها شعور ما، لكن سماعه يقول هذا لا يحتمل. أن يقول إن عناقهما أكبر وأشدّ حرارة من حرائق أجمات كاليفورنيا..

توقف باركر أمام شقتها وأطفأ المحرك ثم قال ببرودة: «حسن جداً.. فلنعاود كلامنا مرة أخرى.. هل لا زلت تدّعين أن عناقنا كان لمجرد البحث؟».

لم ترغب في التراجع قيد أنملة فأجابت: «بكل تأكيد».

ـ إذن.. برهني ذلك.

تنهدت بايلي بثقل وسألته: «وكيف يفترض بي أن أفعل؟».

ـ عانقيني مجدداً.

أحست بايلي بوجهها يشحب: «لن أعانقك أمام شقتي ونصف سكان المبنى يتفرجون».

ـ عظيم.. ادعيني إذن إلى الداخل.

ـ أوه.. الوقت متأخر.

ـ منذ متى أصبحت الساعة التاسعة وقتاً متأخراً؟

راحت بايلي تخسر أعذارها بسرعة: «المرأة ليست مضطرة لدعوة رجل إلى بيتها..».

وكانت لهجتها رسمية، وظهرها مستقيماً ومنصلباً، وعيناها مركزتين إلى الأمام.

لكن ضحكة باركر فاجأتها، فالتفتت لتواجهه ووجدته يبتسم بخبث.

وتمتم: «أيتها الجبانة».

وشدها نحوه ليعانقها عناقاً سريعاً، ثم قال: «هيا.. اركضي إلى البيت قبل أن أغيّر رأيي».

***

٦ ـ ثوب العرس

قالت جو آن مؤكدة: «أعجبني تغييرك لأول مشهد، عناق الميلاد ضرب من العبقرية».

وهزت رأسها ببطء ثم أضافت: «هذا بالضبط ما تحتاجين إليه لقلب الرفض إلى قبول. عدلتِ شخصية مايكل وجعلته فخوراً ومشبوب العاطفة، لكن حقيقي جداً، وعفوي. لقد فوجىء بانجذابه إلى جانيس، وتصرف بالغريزة الصرفة».

نقرت جو آن بإصبعها على صفحات الفصل الأول المعاد كتابته، وقالت: «هذه أفضل كتابة لك وأقواها».

أحست بايلي بالرغبة في أن تقفز لترقص في الممر الفاصل بين مقاعد قطار الأنفاق السريع، لكنها تمكّنت من كبح ردة فعلها وتحويلها إلى ابتسامة عريضة.

وقالت: «من المذهل كيف أن عرض هذا المشهد من زاوية مختلفة قليلاً، جعله يتبدل وسلّط عليه ضوءاً جديداً.. أليس كذلك؟».

ـ بكل تأكيد.. وإذا ما جاءت بقية الكتاب هكذا، فأعتقد، بصدق، أن أمامك فرصة.

وبعث هذا الكلام الأمل في قلبها، فقد أمضت عطلة الأسبوع بأكملها مسمرة أمام جهاز الكومبيوتر.. ولا بد أنها أعادت صياغة المشهد ما لا يقل عن العشر مرات. راحت تصف المشاعر، وتستكشف رد فعل مايكل

www.elromancia.com

وجانيس المذهل نحو بعضهما، وعملت جاهدة لتعكس الإحساس بالذهول الذي اختبراه، والصدمة من الافتتان غير المتوقع. ومن الطبيعي ألاّ يكشف أحدهما للآخر عما شعر به، وإلا لفقدت بايلي حبكة قصتها.

فيما بعد بدا مايكل كئيباً ومكفهر الوجه، بينما بذلت جانيس جهداً كبيراً لمحو الحادثة من ذهنها. لكن، ما من أحد منهما استطاع أن ينسى.

ولسبب وجيه، استطاعت أن تصوّر عدم قدرتهما على النسيان بشكل واقعي جداً. فرد فعل بايلي نحو باركر جاء مماثلاً لإحساس جانيس نحو مايكل.. إذ شعرت بعدم التصديق، والعجب، والصدمة.. وما كان لهذا أن يحدث.

لسوء الحظ، شكّت بايلي بحدوث هذا حتى قبل موافقتها على «البحث»، فمن كانت تخدع برأيها؟ ليس نفسها بكل تأكيد.. أرادت أن يعانقها باركر، حتى قبل أن يقدّم لها العذر.

فأثناء العشاء، كانت بايلي قد اختبرت الأعراض كلها، وهي تعرفها جيداً. القلب المرتجف، الراحتان المتعرقتان، الفقدان المفاجىء للشهية. ولقد حاولت تجاهلها، لكن مع مضي الوقت، لم تعد تفكر في شيء آخر.

وكان باركر قد التزم صمتاً مريباً كذلك.. وفيما بعد، عانقها فازدادت الأمور سوءاً. أحست بالحرارة والدوار، وبشعور مدغدغ اجتاح ببطء جسمها كله. بدا لها وكأن كل خلية من كيانها تشعر به.. كان الإحساس قوياً وغامراً، بحيث اضطرت للتظاهر بعدم المبالاة، فالحقيقة ببساطة، مخاطرة كبرى.

سألت جو آن، مقاطعة أفكار بايلي: «ما الذي جعلك تعيدين كتابة المشهد بهذه الطريقة؟».

التفتت بايلي إلى صديقتها بسرعة، فكررت جو آن السؤال: «بايلي؟ تبدين وكأنك في عالم آخر».

ـ أوه.. كنت أفكر فقط.

ـ هذه عادة خطيرة لكاتبة.. يبدو أننا لا نستطيع طرد شخصيات رواياتنا من تفكيرنا. أليس كذلك؟ إنهم يصرون على اللحاق بنا في أي مكان.

الشخصيات لا تهمها! إنه باركر دايڤدسون الذي يلازم تفكيرها. لكن هل اخترعه خيالها؟ فها هو كبير كالحياة، يسير بعفوية نحوها، وكأنه اعتاد أن يسعى إليها. وقالت لنفسها بعناد إن هذا غير صحيح.

واعتادت أن تبحث عنه في كل صباح، غير قادرة على منع نفسها من ذلك. فهي لم تعرف يوماً مثل هذا الحضور المخيف، وجود رجل تتشوق لرؤياه ومع ذلك مترددة. في أن تراه. وغالباً ما كانت تجد نفسها تفتش في الوجوه حولها آملة أن تلمحه.

وها هو الآن. نظرت بسرعة من النافذة إلى ظلمة النفق، تحدق جيداً في الصور المنعكسة على الزجاج.

قال باركر بابتهاج، وهو يقف أمامهما مباشرة: «صباح الخير سيدتاي».

كانت قدماه منفرجتين قليلاً، وصحيفة الصباح تحت ذراعه. وبدا قوياً، مغرياً، ووسيماً، كحاله في أول لقاء لهما.

تمتمت بايلي: «صباح الخير».

واستدارت على الفور إلى النافذة، فيما ردت جو آن بحرارة، وهي تبتسم له: «مرحباً مرة أخرى».

وللحظة مجنونة، اختبرت بايلي الشعور بالاستياء.. فباركر بطلها هي، وليس بطل جو آن! وصديقتها تحييه وكأنه أخ طال غيابه أو ربما شيء آخر. لكن ما أزعج بايلي حقاً، هو احساسها بالسعادة، وهذا هو الشعور الذي كانت تقاومه طيلة نهاية الأسبوع.

قال باركر بنعومة، موجهاً كلامه لبايلي: «إذن.. هل لحقت برجال غرباء في المدينة مؤخراً؟».

نظرت إليه بحدة، منزعجة لأنّ كلماته جذبت اهتمام الجالسين

بالقرب منها.

وردت: «بالطبع لا».

ـ وأنا مسرور لسماع هذا.

وصدف أن التفتت إلى الرجل الواقف قرب باركر.. كان رجلاً مهذباً لكنه راح ينظر إليها بفضول من خلف صحيفة الصباح.

سأل باركر: «هل أعدت كتابة مشهد العناق؟».

وتخلى رجل الأعمال عن أي ادعاء بالقراءة، وطوى الصحيفة ليتفرس ببايلي علناً.

قالت جو آن، وكأنها هي من قام بهذا الجهد: «لقد قامت بعمل رائع».

فقال باركر: «كنت واثقاً من ذلك».

وارتسمت ابتسامة على شفتيه، فيما لمعت عيناه. وأرادت بايلي أن تطلب منه التوقف عن هذا فوراً.

لكنه أضاف: «لا بد أنّ فيه الآن صدق وعمق، كانا مفقودين في النص الأول.

أكدت له جو آن وقد بدت عليها الدهشة: «هذا صحيح.. المشهد مكتوب بشكل جميل. كل إحساس، كل شعور، موصوف بدقة. ومن الصعب التصديق بأن الكاتب ذاته هو المسؤول عن النصين».

تعبير وجه باركر ذكر بايلي بماكس حين اكتشف قطعة الديك الرومي في طبقه بدلاً من طعام القطط، إذ ارتسم الرضى على فمه الممتلىء الحساس.

أضافت جو آن: «كل ما أرجوه هو أن تنجح بايلي في رسم مشهد الرقص».

فسأل باركر باهتمام: «مشهد الرقص؟».

قالت بايلي: «يأتي هذا بعد فصول عدة».

واختطفت المخطوطة من جو آن، ودستها داخل ملف، ثم وضعتها

في حقيبة يدها الواسعة.

قالت جو آن: «المشهد رومانسي كما هو مكتوب.. لكن ينقصه شيء ما.. ولسوء الحظ، لم أستطع اكتشاف الخطأ».

لم ترغب بايلي في أن يتخذ الحديث هذا المنحى، فقالت: «لطالما كانت المشكلة مع مايكل».

وتمنت أن يسامحها بطلها لوضع الملامة في تقصيرها عليه.

لكن جو آن لم توافقها الرأي: «لا يمكنك لوم مايكل على مشهد الرقص. صححي لي إذا كنت مخطئة، لكن كما أذكر وضع والد جانيس خطة ليرافق مايكل ابنته لحضور حفلة موسيقية، ولم يدفعهما للذهاب سوى عدم عثورهما على عذر مقبول».

اعترفت بايلي على مضض: «أجل.. كانت فرقة روك من الستينات تقدّم عرضاً».

ـ هذا صحيح، ومع مرور الوقت، بدأ البعض بالرقص وطلب الشاب الجالس قرب جانيس منها..

قاطعتها بايلي بإصرار: «المشكلة مع مايكل..».

فسألت جو آن بعبوس محتار:

ـ وما هو الخطأ الذي ارتكبه مايكل؟

ردّت بايلي بصوت يائس: «إنه.. ما كان عليه أن يترك جانيس مع غيره».

جادلتها جو آن: «لم بإمكان مايكل التصرف بطريقة أخرى، وإلا لبدا غيوراً مغفلاً».

ونظرت إلى باركر ليؤكد كلامها.

ـ لعلي مبتدىء في هذه المسألة. لكنني لا أستطيع إلا أن أوافق.

غضبت بايلي من كليهما. هذه قصتها وستكتبها كما يحلو لها، لكنها تمنعت عن الإفصاح عن رأيها، فلعلهما على حق، وهي بحاجة إلى وقت لتفكر في آرائهما.

توقف القطار، وتجمهر عدد من الناس أمام الباب بانتظار أن ينفتح. وأدركت بايلي بامتنان، أنّ هذه محطة باركر.

نظر باركر إلى عيني بايلي وقال: «سأتصل بك لاحقاً».

واستدار من دون أن ينتظر ردها.

كان يعرف أنها لا تريده أن يتصل بها. فهي خائفة، تقف موقف الدفاع عن نفسها، محترسة.. ولسبب وجيه. لم يفهم السبب بعد، لكن باركر لن يسمح لتصرفها هذا أن يمرّ مرور الكرام، ومن دون تحدي.

تنهدت جو آن بحسد: «سيتصل بك.. أليس هذا مثيراً؟ ألا يثيرك هذا؟».

هزت بايلي رأسها، مناقضة ما تشعر به في داخلها، وأجابت: «يثيرني؟ ليس تماماً».

نظرت جو آن إليها بارتياب وسألتها: «ما بك؟».

فردت بايلي بإصرار هادىء: «لا شيء».

لقد مرت بتجربة الخداع الرومانسي مرتين من قبل، لكنها واعية تماماً هذه المرة. الحب رائع، مثير، وملهم، لكن من الأفضل أن تقتصر حدوده على صفحات قصة محبوكة باتقان. فالرجال، أو على الأقل الرجال الذين عرفتهم، يتسببون بخيبات أمل رهيبة، خيبات أمل مؤلمة.

سألتها جو آن: «ألا يعجبك باركر؟ أعني.. ومن لا يعجبها هذا الرجل؟ إنه مادة لبطل.. لقد أدركت هذا فوراً، حتى قبل ألاحظه أنا. ألا تذكرين؟».

لم تنسَ بايلي: «أجل.. لكن كان هذا باسم البحث».

رفعت جو آن حاجبيها غير مصدقة وقالت: «البحث؟ كوني صادقة يا بايلي.. لقد رأيت في باركر دايڤدسون ما يتعدّى حدود شخصية مايكل، فأنت لست من النساء اللواتي ينزلن من القطار ليلحقن برجل. وهناك شيء ما في أعماقك يلحق به».

أجبرت بايلي نفسها على الضحك، قائلة: «أكره أن أقول هذا جو آن،

لكنني أعتقد أنك تقرئين الكثير من القصص الرومانسية».

هزت جو آن كتفيها بإصرار كمن يقول «اكذبي على نفسك».

- ربما.. لكنني أشك في هذا.

ومع ذلك، دفعتها صديقتها إلى التفكير في ما قالته.

ذلك المساء، ارتدت بايلي ثياباً دافئة، ولم تتبرّج، ثم جلست أمام الكومبيوتر، تنظر إلى شاشته دون تركيز.

وتمتمت لنفسها «الإلهام في إجازة». وبدا هذا القول أفضل ما تستطيع قوله، إذ فارقها دفئها المعتاد ومرحها. بدت كل كلمة كتبتها من دون معنى، وأحست بإغراء أن تمحو الفصل كله.

كان ماكس، الذي عيّن نفسه حارساً على الطابعة، مستغرقاً في النوم فوقها. وقد تخلّت بايلي منذ زمن طويل عن فكرة إبعاده عن آلتها، واستسلمت لعادته هذه، فوضعت منشفة مطوية فوقها لتحمي ما تكتبه من وبره. وكلما احتاجت لأن تطبع فصلاً، كانت تدفعه ليستفيق. ولطالما انزعج ماكس وعبّر عن انزعاجه هذا.

قالت لرفيقها الماكر: «هناك خطب ما، فالكلمات لا تتدفق كالعادة».

ولم يعرها ماكس أي اهتمام، بل مدد ساقه وتفحصها بعناية، ثم استقر لقيلولة أخرى طويلة. فهو شبعان ومكتفي، وهذا كل ما يهمه.

تراجعت بايلي إلى الوراء وهي تشبك يديها وراء رأسها.. الفصل الثاني من «لك إلى الأبد» كان ينبض بالحياة وايقاعه سريع مثل الفصل الأول. لكن الفصل الثالث... تأوهت، وهي تعيد قراءة رسالة باولا أولبرايت للمرة الألف، محاولة بيأس تصوير المشاعر والأحاسيس التي اقترحتها رئيسة التحرير.

رن جرس الهاتف في المطبخ، فأجفلها. وتنهدت بايلي بتوتر، ثم وقفت لتتجه بسرعة إلى الغرفة الأخرى.

قالت باقتضاب: «آلو».

بدت غير ودية وغير مرحبة، لكنها أدركت أنها كانت تترقب، ومن دون وعي منها، هذه المكالمة طوال الأمسية.

رد باركر بلهجة مهذبة: «آلو».

ولم يبدُ منزعجاً من مزاجها المتكدر.

ـ أفهم من هذا أنك تعملين، لكن أعتقد من نبرة صوتك أن إعادة الصياغة لا تسير على ما يرام.

ـ إنها تسير على ما يرام.

ولم تفهم لما عمدت إلى الكذب، وغمرها على الفور إحساس بالذنب، لكنها حاولت إخفاءه بعدوانية أكبر.

ـ في الواقع، قاطعتني عن مشهد هام.. وأنا لا أملك الكثير من الوقت لأكتب، هذه الفرص عند المساء مهمة بالنسبة لي.

ساد صمت متوتر للحظات، ثم قال باركر بأدب بارد: «إذن.. لن أؤخرك».

ـ كان من الأفضل ألاّ تتصل بي.

وبدا أن ردها لم يحسّن الموقف كثيراً، فقد قال ببطء: «فهمت».

توقعت بايلي منه أن يجادلها، أو أن يناور ليحسّن مزاجها ويصبح أكثر استجابة، لكنه لم يفعل.

واكتفى بأن يقول: «لماذا لا تتصلين بي حين يكون لديك لحظة فراغ؟».

ردت، خائبة الأمل من دون أن تفهم السبب: «سأفعل.. وداعاً باركر».

هذا أفضل.. لا اتصال بينهما.

وقال بعد لحظة من الصمت المتردد: «وداعاً».

كانت بايلي لا تزال تمسك السماعة حين سمعته يضع السماعة، وتبع ذلك انقطاع الخط. لقد كانت فظة وباردة بشكل غير ضروري، وكأنها تحاول إثبات شيء ما لنفسها، وتحاول إقناع نفسها بأنها لا تريد أيّ صلة

ببباركر.

«العبي بأمان بايلي ولا تورطي قلبك فقد تلقنت درسك».

راح دماغها يعرض الأعذار لتصرفها غير اللبق، لكن قلبها لم يقبل أيّاً منها.

وأحست بالانهيار، وعادت إلى مقعدها تتأمل الكومبيوتر لخمس دقائق كاملة، غير قادرة على التركيز.

قال لها قلبها: «إنه يحاول مساعدتك».

وردّ عليها عقلها: «يجب ألاّ تثقي بالرجال، ألم تتعلمي بعد؟ كم مرة يلزمك لتتعلمي؟».

أصر قلبها: «باركر ليس كالآخرين».

لكن رأسها رفض الإصغاء: «الرجال متشابهون».

حسن جداً.. إذا ما تصرّفت بشكل صحيح، فلماذا تشعر بالسوء؟ لكنها تعرف أنها لو استسلمت ستندم، فهي تسير فوق طبقة رقيقة في الجليد. وتذكرت شعورها حين عانقها، فهل هي مستعدة للمخاطرة بمزيد من الألم؟ بتحطيم قلبها مجدداً؟

أغمضت بايلي عينيها وراحت تهز رأسها. أفكارها مشوشة للغاية. لقد قامت بما تراه ضرورياً، لكن شعوراً بالسوء يتملكها. في الواقع، كانت يائسة، فقد غيّر باركر عاداته ليساعدها في مشروعها، وعرض عليها وقته ونصيحته، كما أعطاها وجهة نظر رجل. وحين عانقها، ذكرها بمعنى أن تكون مرغوبة.

بالكاد نامت بايلي تلك الليلة. وفي صباح يوم الثلاثاء، قررت أن تفتش عن باركر، حتى وإن عنى ذلك التنقل من عربة إلى أخرى في القطار، وهذا أمر نادراً ما تفعله. فهي تنوي أن تعتذر حين تلتقيه، وتعزو سوء مزاجها إلى مزاجية الإبداع.

التقت بها جو آن على رصيف المحطة كما تفعل كل صباح.

ـ صباح الخير.

ردت بايلي ساهمة: «مرحباً».

وأخذت تنظر إلى نوافذ القطار وهو يبطىء ليتوقف أمامها، علّها تلمح باركر. ولم تعلّق جو آن على تصرفها، وإن لاحظته.

قالت جو آن، بابتسامة عريضة، وعيناها تلمعان: «لقد ردت عليّ الوكالة التي كتبت إليها منذ شهرين».

ونسيت بايلي مؤقتاً أمر باركر وهي تنظر إلى صديقتها سائلة:

ـ آيرين أنغرام؟

وارتفعت معنوياتها الهابطة مع هذا الخبر. انكبّت جو آن لأسابيع على لائحة الوكالات تحاول أن تقرر من تختار أولاً، وبعد الكثير من النقاش والتفكير، قررت أن يكون هدفها عالياً.

العديد من دور النشر لم يعد يتقبل مخطوطات من كتّاب ليس لهم وكيل، وإيجاد وكيل يرغب في تمثيل كاتبة مبتدئة، أمر صعب. وتعتبر آيرين من أهم وكلاء القصص الرومانسية، فهي تمثل عدداً من الأسماء البارزة.

حثتها بايلي أن تكمل، وهي واثقة جداً من أنّ الخبر إيجابي: «و.. ماذا؟».

رفعت جو آن يديها في الهواء: «لقد قرأت كتابي.. وأعجبت به للغاية!».

ـ وهل يعني هذا أنها ستمثلك؟

كانا يعرفان كم من المستهجن أن تمثل وكالة مقرها نيويورك قصصية لم ينشر لها كتاب بعد.. فهذا أمر لم يسمع به أحد، ولا يحدث غالباً.

ـ أتعرفين.. لم نناقش هذا الموضوع بعد، ولكنني أعتقد أنها ستفعل. أعني لقد تحدّثت عن القيام ببعض التعديلات الطفيفة، التي يجب ألاّ تتطلب أكثر من أسبوع، ثم ناقشنا إمكانيات السوق. كما أنها تعرف رئيسة تحرير تهتم بالأمور التاريخية لهذه الحقبة بالذات، وتريد

آيرين أن ترسل لها القصة أولاً، ما إن أنهي المراجعة.

أمسكت بايلي يد صديقتها وشدّت عليها قائلة: «جو آن.. هذه أخبار رائعة!».

ـ لا زلت أجد صعوبة في تصديقها. يبدو أن آيرين اتصلت اثناء وجودي في عملي، فردّ عليها ابني. حين عدت إلى البيت وجدت الرسالة بخط يده ولم أفهم منها شيئاً.. كل ما تقوله إن سيدة ذات اسم غريب اتصلت.

ـ تصرّف نموذجي من بوبي.

ـ حتى أنه لم يكن في المنزل لأسأله.

ـ وهل كتب رقم الهاتف؟

ـ لا.. لكنه قال لآيرين إنني في العمل، فاتصلت بي مجدداً في الخامسة والنصف، حسب توقيتنا.

ـ ألست أنت من قال لي إنني لأكون كاتبة يجب أن أعرف توقيت نيويورك؟

مازحتها جو آن: «أنا نفسها.. على أي حال، تحدثنا لما يقارب الساعة.. هذا جنون! الحمد لله أن دان كان في المنزل، فقد وقفت في المطبخ والذهول على وجهي، ورحت أسجل الملاحظات بجنون، وبدأ دان بتحضير العشاء، ثم أسرع إلى الحديقة العامة ليأتي ببوبي من تمارين كرة القدم، فيما حضرت سارة المائدة. وما إن أنهيت المكالمة حتى كان العشاء جاهزاً.

ـ أنا متأثرة بهذا.

نساء عدة في جمعية الكاتبات يتذمرن من تصرفات أزواجهن نحو جهودهن الإبداعية. لكن جو آن محظوظة في هذه المسألة، فدان مؤمن بموهبتها بقدر ايمانها هي بنفسها.

بدا أنّ حلم جو آن على وشك أن يتحقق، بحيث أحست بايلي بالإثارة. فبعد ثلاث سنوات من الجهد المتواصل، تستحق جو آن فرصة

www.elromancia.com

أكثر من غيرها. كانت تنظم مواعيد الكتابة ما بين مواعيد طبيب الأسنان، وتمارين كرة القدم للصغار، وبين عملها بدوام كامل وواجباتها كزوجة وأم. كما لعبت دور القوة الدافعة لجمعية الكاتبات. لقد بذلت جو آن دايفز جهدها، فأملت بايلي بصدق أن تشكل آيرين أنغرام كوكيلة لها، الدافع لبيع أول كتبها.

قالت جو آن بلهجة واقعية: «أرفض أن أدع الأمر يفقدني عقلي».

نظرت بايلي إليها غير مصدقة وقالت: «أنت تمزحين.. أليس كذلك؟».

- أعتقد ذلك، فمن المستحيل ألاّ أشعر بالإثارة. لكن يجب أن نتذكر أنّ الوكلاء لا يبيعون الكتب، بل النص الجيد، حبكة القصة وصياغتها هما ما يهم الناشر. الوكلاء يفاوضون لكنهم لا يبيعون الكتب.

قالت بايلي بعتاب: «كان عليك أن تتصلي وتقولي لي».

- كنت أنوي ذلك، صدقاً.. لكن ما إن أنهيت جلي صحون العشاء، ووضعت الأولاد في الفراش وراجعت ملاحظاتي، حين أصبح الوقت متأخراً جداً. على فكرة، وقبل أن أنسى، هل اتصل بك باركر؟

كان أمر باركر آخر موضوع تفكر بايلي في مناقشته. إن اعترفت بأنه اتصل، فستطرح جو آن عليها أسئلة مربكة لا تريد الإجابة عنها، كما لا تشأ أن تكذب.

وهكذا اعترفت: «لقد اتصل.. لكنني كنت أكتب، واقترح أن أتصل به أنا فيما بعد».

فسألتها جو آن: «وهل فعلت؟».

- لا.. أعلم أنه كان عليّ أن أتصل.. لكني.. لم أفعل.

- إنه رائع.. أتعرفين هذا؟

- أتمانعين ألاّ نناقش أمره؟

كانت تنوي البحث عنه، لكنها عدلت عن رأيها، مؤقتاً على الأقل.

- أمور كثيرة تشغلني. وأنا.. أنا أحتاج إلى توضيح بعض الأمور

الغامضة.

نظرت جو آن إليها متعاطفة: «طبعاً.. خذي وقتك.. لكن ليس طويلاً، فرجال مثل باركر دايفدسون لا يتواجدون دائماً.. ربما مرة في العمر.. هذا إذا كنت محظوظة».

ولم يكن هذا ما تريد بايلي سماعه.

بقي ماكس مستلقياً فوق طابعة الكومبيوتر طيلة الأمسية. وكانت قد عملت لساعة على إعادة الصياغة، لكن النتيجة لم تسرّها. ولعل توترها مرتبط بعدد المرات التي طبعت فيها اسم باركر بدلاً من مايكل.

كان من السهل تبرير هذه الغلطة، فهي متعبة، وباركر يحتل أفكارها معظم الوقت. يا إلهي.. ومتى فارق أفكارها؟

وبعد أن قررت أخذ قسط من الراحة، وتصفّح صحيفة المساء، خيّل إليها أن اسم باركر يظهر على الصفحات المكتوبة. اقتنعت بايلي بأن الكاتب أخطأ، كما حدث معها منذ لحظات.. وأخذت تقرأ الشؤون المحلية في صحيفة المساء، لتجد أنّ اسم باركر مذكور فعلاً فيها.

جلست على مقعد المطبخ المرتفع، وقرأت المقالة المختصرة بعناية. كان العمال يحفرون لبناء مؤسسة مصرفية في المنطقة المالية، وقد ورد اسم باركر دايفدسون كمهندس للمشروع.

قرأت بايلي المقال مرتين، وتملكها إحساس بالفخر والاعتزاز.

يجب أن تتصل به، فهي تدين له بتفسير، باعتذار، وتدين له بعرفان الجميل. ولقد أدركت ذلك ما إن أنهت حديثهما بشكل مفاجيء في الليلة السابقة، وأدركت ذلك أيضاً في الصباح حين تحدثت إلى جو آن.. اكتشفت ذلك حين استبدلت اسم مايكل باسم باركر، حتى صحيفة المساء قالت لها إنها تدرك ذلك.

إنه أمر ضروري جداً، ويجب ألاّ يكون صعباً. وقفت بايلي أمام جهاز الهاتف تقنع نفسها بهذا ويدها على السماعة، والتردد يساورها. ماذا يمكن أن تقول له؟ ستعتذر عن تصرفها وتهنئه على المشروع الذي قرأت عنه،

ولن يتطلب هذا سوى ثلاثين ثانية.

دخل ماكس إلى المطبخ، متوقعاً أن تطعمه مجدداً، فنظرت إليه متمتمة:

- لا تحلم.

ذرع المطبخ بخطوات متوترة لم يعطها الشجاعة، كما لم يفعل تفحصها لمحتويات البراد. الأمر الوحيد الذي شجعها كان ماكس الذي بدا مصدّقاً أنها غيرت رأيها.. وستطعمه.

راحت تتمتم غاضبة من نفسها، والتقطت سماعة الهاتف، وطلبت منزل باركر، ثم انتظرت.. رن جرس الهاتف.. مرة.. مرتان.. ثلاث.

يبدو أن باركر ليس في المنزل، لعله خرج مع حسناء شقراء طويلة، ليحتفل بنجاحه. وهذا كابوس أيّ امرأة.. أربع رنات.. حسن جداً، ماذا تتوقع؟ إنه وسيم ومغري، وكريم ولطيف..

- آلو؟

وفاجأها تماماً: «باركر؟».

- بايلي؟

ردت بإشراق: «أجل.. هذا أنا.. مرحباً».

ما كانت تنوي قوله اختفى من ذهنها فجأة.

لان صوته قليلاً وقال: «مرحباً».

سألت: «هل اتصلت في وقت غير مناسب؟».

وأخذت تلف شريط الهاتف على إصبعها ثم رسغها، وأخيراً مرفقها.

- يمكن أن أتصل لاحقاً إذا كان ذلك يناسبك أكثر.

- الآن وقت رائع.

- رأيت اسمك في الصحيفة وأردت تهنئتك.. يبدو هذا المشروع مثيراً للإعجاب.

لا بد أنه هز كتفيه، لأنها تعرف أنه سيفعل، وحل الصمت بينهما.. صمت يجب ملأه أو شرحه، أو إلغاءه بسرعة.

قالت بايلي: «وأردت كذلك أن أعتذر للطريقة التي تصرفت بها ليلة أمس، حين اتصلت».

وأصبح الشريط ملفوفاً بقوة على يدها بحيث تخدرت أصابعها، ففكّته، بحركة مذعورة.

- كنت فظة معك، ودون لباقة.. وأنت لا تستحق هذا.

- إذن.. تعقّدت أمور الكتابة.

ولم تكن متأكدة من أنها فهمته فاستفهمت:

- أرجو عفوك؟.

- تلاقين صعوبة في اعادة صياغة القصة.

ونساءلت كيف عرف.

- أقترح أن تحصلي على وجهة النظر الرجالية.. أردت وجهة نظري، هل أنا محق أم لا؟

- محق أم لا؟ ولا واحد منها.. لقد اتصلت لأعتذر.

- وكيف تسير إعادة الصياغة؟

- ليس على ما يرام.

- وهذا يعلمني بما أردت.

ارتاعت بايلي وقالت: «إذا كنت تلمّح إلى أن هذا هو السبب الوحيد لاتصالي بك، فأنت مخطىء».

- إذن.. لماذا اتصلت؟

- إذا كنت تريد أن تعرف.. سأشرح لك.

- تابعي.. أنا أصغي إليك.

الآن وقد استرعت اهتمامه كلياً، بدأت بايلي تشعر بمدى غبائها.

- لطالما قالت لي أمي إن الفظاظة لا عذر لها، لذا أردتك أن تعرف ما قد يساعدك على الفهم..

وفجأة لم تعد قادرة على إضافة كلمة أخرى.

فكرر باركر بصوت هادىء: «أنا أصغي إليك».

www.elromancia.com

أخذت بايلي نفساً عميقاً، وأغمضت عينيها: «أوه.. ربما لن تفهم.. لكن يجب أن تعرف أن هناك.. أنّ ثمة ثوب عرس لم يستخدم في خزانتي».

***

٧ ـ غلطة فادحة

من بين كل التفسيرات التي يمكن لبايلي أن تقدمها، ومن بين كل الأعذار التي يمكن أن تذكرها لباركر، لم يكن لديها أدنى فكرة لماذا ذكرت ثوب العرس. وفرض عليها الإحراج الكامل خطوتها التالية، فعلقت سماعة الهاتف إلى مكانها.

وعلى الفور، راح جرس الهاتف يرن، فنظرت إليه مشدوهة. سدّت أذنيها بيديها، وسارعت إلى غرفة الجلوس، لتغوص في مقعد وثير، وتنقوقع على نفسها.

سبع عشرة رنة.

لقد ترك باركر جرس الهاتف يدق إلى أن اقتنعت بايلي بأنه لن يتوقف.. وبدا الصمت الذي تبع الرنين وكأنه يتردد صدى في أرجاء الشقة الصغيرة.

وكانت قد بدأت تستجمع أفكارها حين سمعت قرعاً على بابها. فرفع ماكس رأسه من على طابعتها وكأنه يطالبها بوقف هذا الانزعاج الذي نغّص عليه أمسيته.

قال باركر بلهجة آمرة لم تستطع تجاهلها: «بايلي.. افتحي الباب».

فوقفت على مضض وشدت الباب تفتحه.. كان سيجد من دون شك طريقة للدخول، وإذا قاومت، فسيخرج السيدة مورغان من منزلها لتفتح له.

دخل كالعاصفة إلى غرفة جلوسها وكأن النار تلتهم المكان. ووقف،

www.liromancia.com

جريئاً كالحياة، وسط الغرفة، ثم نظر حوله، وهو يمرر يده في شعره.

ـ ماذا قلت عن ثوب العرس؟

كانت بايلي لا تزال تمسك مقبض الباب، فرفعت نظرها إليه وهي تهز كتفيها قائلة: «نسيت أن أقول لك إنه مستخدم قليلاً».

ـ مستخدم قليلاً؟

ـ هذا ما حاولت شرحه لك.

فسألها بخشونة: «وهل أنت متزوجة؟».

أدهشها السؤال، مع أنه يجب ألاّ يدهشها، فهما يتحدثان عن ثوب عرس.

ـ يا إلهي.. لا.

ـ إذن.. ماذا تعنين بأنه مستخدم قليلاً؟

ـ لقد جربته مرات عدة، ودفعت ثمنه، لكنه لم يدخل الكنيسة.

وأقفلت الباب واستندت إليه قليلاً.

ـ هل ترغبين في إخباري القصة؟

أجابت: «ليس بشكل خاص.. في الواقع لا أفهم لماذا ذكرت الموضوع.. لكن بما أنك هنا الآن، هل تريد فنجان قهوة؟».

لم تنتظر رده، ودخلت المطبخ وأخذت آلياً كوباً من الخزف.

ـ ما كان اسمه؟

ـ في أي مرة؟ المرة الأولى كان اسمه بول، وتبعه توم بعد بضع سنوات.

كانت لهجتها مليئة بسخرية مريرة، وهي تملأ الكوب وتعطيه إياه، وصبت كوباً لنفسها.

ـ أفهم من هذا أن الثوب الهام جداً، قد استخدم «قليلاً» أكثر من مرة؟

ـ بالضبط.

وسارت أمامه إلى غرفة الجلوس، وجلست على الأريكة، تاركة المقعد الوثير لباركر، ثم أكملت: «وهذا أمر لا أختار أن أذيعه، لكن لدي

مشكلة في البقاء مع رجل على ما يبدو. ولأكون منصفة، يجب أن أعترف أنني اشتريت الفستان لعرسي مع توم، خطيبي الثاني.. أنا وباول لم نصل إلى هذه المرحلة قبل أن.. يرحل».

آخر كلمة قالتها كانت بالكاد مسموعة.

فسأل باركر وعيناه لطيفتان وحائرتان: «ولماذا تحتفظين بالفستان؟».

أشاحت بايلي بوجهها فهي لا تريد شفقته ولا تحتاج حنانه. لكن إذا كان هذا صحيحاً، فلماذا تشعر بالبرد والوحدة؟

ـ بايلي؟

ـ إنه فستان جميل.

كان من الدانتيل المخرم على حرير أبيض فخم، واللؤلؤ يزين أكمامه الطويلة، مع صدر ضيق وتنورة أنيقة واسعة. إنه ثوب عرس تحلم كل امرأة بأن ترتديه، فستان يعكس معنى الرومانسية والحب..

وبدلاً من ترك ثوب العرس في منزل والديها، رتبته بايلي بحرص ونقلته معها إلى سان فرانسيسكو.. وها هو باركر يسألها عن السبب، وافترضت بايلي وجود سبب منطقي وراء تصرفها، دافع خفي مدفون في عقلها الباطن. لعله وسيلة تذكرها بضرورة ألاّ تثق بالرجال.

سألها باركر بحذر، وكأنه يحاول أن يرفع الضمادة عن جرح قديم لم يشف بعد، من دون إيلامها:

ـ وهل أحببتهما؟

همست وهي تنظر إلى قهوتها: «ظننت أنني أحببتهما. ولأكون صادقة، لم أعد أعرف».

ـ أخبريني عن بول.

كررت الاسم بذهول: «بول.. التقينا في سنتنا الأولى في الجامعة».

وبدا لها هذا منذ زمن طويل، مع أنّ الفترة قصيرة نسبياً.

وأنهى كلامها: «ووقعتما في الحب».

ـ بسرعة.. كان يدرس الحقوق، كان لامعاً ومرحاً، ومتشبثاً برأيه.

قضيت ساعات وأنا أستمع إليه، إذ كان يبدو وكأنه يعرف بالضبط ما يريد وكيف يحصل عليه.

- وكان بريدك.

ترددت: «في البداية.. ثم التقى ڤاليري، واظن أنه لم يشأ أن يقع في غرامها».

كانت بايلي مقتنعة بذلك، فهي تعرف أن باول حاول التمسك بحبه لها. لكنه في النهاية اختار ڤاليري.. وأضافت: «وتركت الجامعة بعد وقت قصير إذ لم أعد أتحمل بقائي هناك، وأنا أراهما معاً».

وبدا لها هذا عملاً جباناً، فقد خاب أمل والديها. لكنها تابعت دراستها في كلية التجارة، لتتخرج مساعدة قانونية بعد سنة.

رفعت نظرها إلى باركر، وخاطرت بابتسامة: «كان عليّ أن أعرف أن باول ليس بطلاً».

- وكيف هذا؟

- أنت تقصّ شعرك عند حلاق حقيقي، وليس عند مصفف شعر.

هز رأسه: «أجل.. وكيف عرفت هذا؟».

- أنت ترتدي ثياباً محافظة، وتفضل ارتداء الجوارب مع الحذاء.

قال وكأنه لم يفهم مغزى حديثها: «هذا صحيح.. لكن كيف عرفت؟».

- أنت تفضل قهوتك في كوب بدلاً من الفنجان.

- أجل.

- أنت بطل.. أتذكر؟

وخاطرت بابتسامة ثانية.. مسرورة بدقة وحسن تقييمها لعاداته.

- على الأقل تعلمت شيئاً ما من كل هذا.. وهو كيف أتعرّف إلى الرجل الحقيقي حين ألتقيه.

- أولم يكن باول أو توم رجلين حقيقيين؟

- لا.. بل كانا زائفين ومكلفين.. مكلفين لكرامتي.

وغيّرت جلستها، ولفت ذراعيها حول ساقيها.. وبهذا اتخذت موقعاً دفاعياً وأكملت: «قبل أن تصل إلى أيّ استنتاج، يجب أن تعرف أن السبب الوحيد لحاجتي إلى بطل هو «لك إلى الأبد». وأنت نموذج رائع مكتمل لمايكل».

- لكنك لا تريدين أن تتورطي، شخصياً، معي.

- بالضبط.

وبعد أن اتضحت الأمور، أحست بايلي بالارتياح. الآن وقد فهم باركر الحقيقة سيزول الضغط، ولن يكون هناك توقعات غير منطقية.

أضافت بأدب: «أنا أكتب قصصاً رومانسية وأنت من نوع البطل. علاقتنا علاقة عمل، مع أنني ممتنة لصداقتك».

بدا أن باركر يفكر في كلماتها إذ صمت للحظات قبل أن يهز رأسه قائلاً: «كان يمكن أن أتقبل ما تقولينه لولا أمر واحد».

التفتت بايلي إلى باركر مستفهمة، فأضاف: «العناق».

فأخفضت عينيها على الفور وسرت قشعريرة باردة في ظهرها. وأرادت أن تصرخ: هذه قسوة غير عادلة! لكنها تمتمت: «أوه.. لا أعتقد أنّ علينا مناقشة هذا».

- ولمَ لا؟

ردت بقوة: «كان مجرد بحث.. وهذا كل ما في الأمر».

حاولت جاهدة أن تقنع نفسها، والتفتت نحوه وابتسمت بجرأة، وهي تأمل ألاّ يعلّق على كلامها.

لكنه فعل، وقال مجادلاً: «حسن جداً.. لن يضرّ إذن إن جرّبنا مرة أخرى، أليس كذلك؟».

لكنها أصرت: «لا.. لا لزوم لهذا».

- أنا لا أوافقك الرأي.

ووقف، وتقدّم نحوها، فشدت على ساقيها أكثر وتأوهت.

أكد لها باركر: «لا داعي للقلق».

ـ أوليس هناك ما يقلق؟ أعني.. بالطبع لا.. لكن العناق يجعلني غير مرتاحة.

ـ ولماذا؟

ألا يمكن لهذا الرجل أن يتقبل تفسيراً بسيطاً؟ ولو لمرة واحدة؟

تنهدت بايلي، وقالت بفظاظة: «حسن جداً، يمكنك معانقتي إذا كنت تصر».

وأنزلت قدميها إلى الأرض، وسوت كنزتها، وأغمضت عينيها بشدة.. وانتظرت.

وانتظرت.

وأخيراً نفد صبرها، ففتحت عينيها، لتكتشف أن باركر يجلس إلى جانبها، ووجهه يكاد يلمس وجهها. وارتسمت ابتسامة ساخرة على وجهه.

فسألته غاضبة: «هل أسليك؟».

هو من أصر على هذا العرض، هو من طالب بالإثبات.

قال باركر: «ليس تسلية بالضبط».

وبدا أنه يقاوم رغبة في القهقهة، فقالت، بقدر ما استطاعت من التزمت: «أعتقد أن علينا نسيان كل هذا».

ووقفت لتحمل كوبها إلى المطبخ واستدارت لتأخذ كوبه، لكنها وجدت نفسها بين ذراعيه.

أراح يديه على كتفيها، وقال هامساً بكلمات ناعمة ترافقت مع نظرته الدافئة: «كلا الرجلين أحمق».

أحست بالذعر، وارتفع قلبها إلى حلقها، وأخذ يضرب بجنون. لقد حصل على فرصته ليبرهن وجهة نظره. وكان عليه أن يفعل هذا يومها وليس الآن، وهي ضعيفة وغير مستعدة، لا سيّما وأنّ كلماته تجعلها تشعر بالعجز والوهن.

ولم تتجاوب بايلي في البدء، لكنها ما لبثت أن أحست بأنها محاصرة

بين شعورها بالاضطراب والصدمة. لم تكن مستعدة لهذا! فحررت نفسها من بين ذراعيه، واستدارت قائلة بصوت يرتجف: «هاك! هل أنت سعيد الآن؟».

فرد متصلباً: «لا.. يمكنك خداع نفسك إذا شئت، لكن كلانا يعرف الحقيقة.. أنت تحترقين».

ـ لأنني لا أطيق الحرارة.

وأبعدت الشعر عن جبينها، وتمكنت من رسم ابتسامة زائفة على وجهها، وعادت لتستدير وتواجهه.

ـ ما كان عليّ أن أذكر فستان العرس، ولا أعرف لماذا فعلت، وما الذي أدّى إلى تلك الهستيريا.

ـ أنا مسرور لأنك فعلت.. وبايلي.. لا تشعري أبداً أنك مضطرة للاعتذار.

ـ شكراً لك.

وسبقته إلى بابها. فوقف ليربت على رأس ماكس، الذي لم يفتح عينيه ليرى من يلاعبه، وسأل: «هل ينام دائماً على طابعتك؟».

ـ لا.. فهو يصر أحياناً على احتلال وسادتي، ولا سيما حين أستخدمها.

ضحك باركر.. وأقسمت بايلي أنها لم تلتق من قبل برجل له ابتسامة بمثل هذه الجاذبية. وأحست وكأنها تراقب الشمس وهي تطل من بين الغيوم بعد مطر غزير. وبقوة إرادة عظيمة تمكنت من أن تشيح بنظرها عنه.

وقف عند الباب، وقال: «سأراك فيما بعد».

همست: «أجل».

وضع يده على خدها بحنان وقال: «بايلي؟ تذكري أنك لست الوحيدة التي غرر بها الحب.. فهذا يحدث لأفضل الناس».

ربما.. لكن باركر بطل حي، رجل من النوع الذي تشتري النساء ملايين الكتب في السنة ليقرأن عنه، ويحلمن به، وتشك في أنه عرف يوماً

معنى أن يصفعه الحب على وجهه.

ـ لا يبدو عليك أنك تصدقيني..

نظرت بايلي إليه، وقد أدهشها أنه قرأ أفكارها بوضوح.

وأكمل بهدوء: «أنت مخطئة.. لقد خسرت شخصاً أحببته».

وهنا، أنزل يده، وسار مبتعداً، ثم أقفل الباب وراءه.

وعندما تمكّنت بايلي من استعادة رباطة جأشها وركضت خلفه لتسأله، وجدت الممر الخارجي خالياً.. لقد خسر باركر حباً إذن؟ ما من امرأة واعية وذكية يمكنها أن تبتعد عن باركر دايڤدسون.

إنه بطل.

قالت بايلي لجو آن وهما تسيران نحو مركز عملهما: «أخشى أني فعلتها مرة أخرى».

الصخب والزحام ذلك الصباح في القطار السريع، جعلا الحديث مستحيلاً.

ـ فعلت ماذا؟

ـ ارتكبت غلطة فادحة مع باركر دايڤدسون.. إنه..

قاطعتها جو آن بإثارة: «هل قرأت اسمه في الصحيفة مساء الأمس؟ كان خبراً صغيراً في الأخبار المحلية. كدت اتصل بك، لكنني عرفت أنني سأراك هذا الصباح ولم أرغب في مقاطعتك وأنت تكتبين».

ـ لقد رأيت المقال.

ـ تأثر دان لأننا نعرفه.. يبدو أنّ اسمه اشتهر في السنوات الماضية. لكني لم أكن أنتبه لمثل هذه الأمور، فكل ما ليس له علاقة بالتأمين الطبي أو الكتابة، يفوتني. إنما دان سمع به، وهذا طبيعي لأنه يعمل في البناء.. هل تعلمين أن باركر ربح جائزة وطنية هامة بسبب منزل ابتكره السنة الماضية؟

ـ لا.

توقفت جو آن عن السير وقالت: «أنا آسفة.. لقد قاطعتك.. ألم

أفعل؟ ماذا كنت تقولين؟».

لم تكن بايلي واثقة مما عليها أن تقوله لها: «لقد جاء إلى شقتي..».

ـ باركر جاء إلى شقتك؟

وبدا عدم التصديق على جو آن، وكأن بايلي حظيت بزيارة سماوية.

ولم تعرف بايلي ما خطب جو آن فهي لا تدعها تنطق بكلمة من دون مقاطعتها.

ـ أخطأت حين اخبرته عن الفستان، ففي البداية، اعتقد أنني متزوجة.

تسمّرت جو آن، وضاقت عيناها ثم سألتها: «وهل لديك فستان عرس في خزانتك؟».

نسيت بايلي أنها لم تخبر جو آن من قبل عن بول وتوم. وهي لا ترغب في الشرح الآن، لاسيما في هذا اليوم البارد من أيام شباط ووسط رصيف مزدحم في سان فرانسيسكو.

تمتمت بايلي وهي تنظر إلى ساعتها: «يا للسماء.. هل تدركين كم الساعة الآن؟».

فصاحت جو آن وهي تمسك بساعد بايلي: «أوه.. لا.. لن تذهبي يا بايلي يورك، لن تتركيني.. ليس دون تفسير».

ـ الأمر ليس مهماً.. كنت مخطوبة.

ـ متى؟ مؤخراً؟

نظرت بايلي باشتياق إلى مكان عملها وردت بإيجاز مبهم: «أجل، ولا».

سألت جو آن: «ماذا تعنين؟».

ـ خطبت مرتين.. وفي المرتين تخلى الرجل عني.. هل اكتفيت الآن؟

تفسيرها لم يرض جو آن: «مرتين؟ لكن، ما دخل باركر بهذا؟ ليست غلطته إن نبذك هذان الرجلان. أليس كذلك؟».

ردّت بايلي بحدة، وهي ساخطة تماماً: «بالطبع لا».

وفقدت صبرها. . أخطأت حين ذكرت اسم الرجل، فقد أصبحت جو آن أكبر مدافعة عن باركر، من دون أن تراعي أنها صديقتها المفضلة. لكن يبدو أن باركر، ومن وجهة نظر جو آن الشاردة، لا يمكن أن يخطىء.

ـ وهل افترض أنك متزوجة؟

ردت بايلي بهدوء: «لا تقلقي. . لقد شرحت له الامر. . اسمعي، سوف نتأخر عن عملنا. . سأكلمك فيما بعد».

ـ ستفعلين طبعاً. . لديك الكثير لتشرحيه.

وخطت خطوتين، ثم عادت أدراجها لتتفرس في بايلي، وكأنها تراها للمرة الأولى.

ـ كنت مخطوبة؟ مرتان؟ مرتان ولرجلين مختلفين؟

وفجأة، ابتسمت جو آن ابتسامة عريضة وأضافت: «تعرفين ما يقولون. . أليس كذلك؟ الثالث ثابت. . وباركر دايڤدسون فاتن، وثابت. سأتصل بك هذا المساء».

وبتلويحة سريعة من يدها، استدارت وقطعت الشارع على عجل.

ما إن حلّ موعد الغداء، حتى تأكدت بايلي من أن يومها كارثة. . فقد وضعت ملفاً ما في غير مكانه. . وقطعت الخط صارخة في وجه زبون. . كما أمضت ساعتين وهي تطبع تقريراً، ثم ضغطت الزر الخاطىء في الكومبيوتر، فخسرت الوثيقة كلها. لهذا، قررت الاستفادة من ساعة الغداء علّها تعدّل مزاجها.

وجدت بايلي نفسها أمام مكاتب باركر، ولم تعرف ما إذا حصل هذا صدفة أم إن لاوعيها دفعها إلى ذلك. نظرت إلى المبنى للحظات، مترددة، متشوقة لسؤاله عمّا كان يعنيه حين قال إنه فقد شخصاً يحبه. . وكان عليها أن تعرف الجواب وإلاّ ستقضي بقية يومها تغضب رئيسها وتزعج الزبائن المهمين. لقد خيّب باركر أملها، فما كان عليه أن يتركها من دون تفسير. . هذا غير عادل. . لقد أصغى إلى تفاصيل «حبها» المذلة، لكنه لم يشاركها ألمه.

أشرق وجه روزان سنايدر، موظفة الاستقبال في المؤسسة، حين دخلت بايلي إلى المكتب.

ـ أوه آنسة يورك. . يسرّني أن أراك ثانية.

ردّت بايلي وهي تستجيب للترحيب الدافىء بشكل طبيعي: «شكراً لك».

أخذت الموظفة تفتش في صفحات دفتر المواعيد قائلة: «هل يتوقع السيد دايڤدسون حضورك؟ أنا آسفة جداً إذا كنتِ. . .».

تقدّمت بايلي من مكتب المرأة اللطيفة وقالت: «لا. . لا. . حتى أنني لم أكن متأكدة من العثور على باركر».

ـ إنه هنا. وسيكون مسروراً لرؤيتك. . أدخلي، وسأعلمه بوصولك. تعرفين الطريق، أليس كذلك؟

استدارت وهي تشير إلى الممر: «مكتب السيد دايڤدسون آخر باب إلى اليسار».

ترددت بايلي، خوفاً من أن يكون ظهورها من دون موعد تصرفاً غير لائق. . وكان بإمكانها أن تغادر، أن تتسلل مبتعدة بهدوء إلاّ أن روزانا أعلمته بوجودها بمرح.

وقبل أن تتحرك بايلي، انفتح باب مكتب باركر. ورأته ينتظر متكئاً إلى إطار الباب بكسل، ويداه في جيبيه، وكأنه يتوقع وصولها طيلة فترة الصباح، ويتساءل عمّا أخرها.

شدّت من عزيمتها، وأسرعت نحوه. تحرك جانباً، ثم أقفل الباب بعد دخولها، وصدمها منظر الخليج الجميل من جديد. لكنها لن تسمح لهذا بأن يلهيها عن هدفها.

قال: «إنها مفاجأة غير متوقعة».

كانت أعصابها متوترة. . وبدت كلماتها أقسى مما كانت تنويه: «كان تصرفك غير لائق».

ـ ماذا؟ معانقتك؟ حسناً يا بايلي، هل سنكرر ما قلناه؟ يجب أن

تتوقفي عن الكذب على نفسك.

شدت قبضتي يديها وقالت: «كان يومي سيئاً، وهذا لا شأن له بالعناق.. وأنت تعرف هذا».

ـ لا شأن له؟

غاصت في المقعد وقالت: «لقد مرّغت كرامتي في الوحل من أجلك».

أكملت معترضة وهي تلوّح بيدها: «حسن جداً.. لعل في هذا مبالغة».

ـ مبالغة؟

أثار توترها أن تشرح له كل كلمة تقولها: «أعني الكلام المبالغ فيه.. غير الواقعي.. هل تظن أنني أتمتع بمشاركة الناس خزيي؟ فالمرأة ليست على استعداد لأن تنبش الأحداث المؤلمة والمذلة في ماضيها لتعترف بها لك.. لم يكن هذا سهلاً.. وأنت تعرف ذلك».

دار باركر حول المنضدة وجلس على كرسيه وهو يدعك فكه.

ـ وهل لهذا الحديث علاقة بثوب العرس المستخدم قليلاً؟

فردت ساخطة: «أجل.. من المهين جداً لي أن أعترف لك كيف أن رجلين.. وليس واحداً، بل رجلين.. نبذاني تقريباً عند عتبة الكنيسة».

تلاشى المرح من عيني باركر وقال: «أدرك هذا».

فردت بحرارة: «لا.. أنت لا تدرك. وإلا لما تركتني مع آخر كلمة قلتها وأنت تغادر».

ـ آخر كلمة وأنا أغادر؟

أغمضت عينيها ببطء، راجية أن يمنحها الله الصبر.

ـ وأنت تغادر، ذكرت شيئاً عن فقدانك لشخص تحبه.. فلماذا أطلعك على ذلّي، وأنت لا تفعل؟ لقد خاب أملي و..

وتجمدّت الكلمات في حنجرتها.

كان باركر هادئاً للغاية، وبدت عيناه وكأنهما تأسران عينيها، وقال: «أنت على حق.. كان هذا فظاظة مني، وليس لدي أيّ عذر».

ردت بجفاء: «أوه.. لا بد أن يكون لديك عذر».

إنه بطل.. أليس كذلك؟ كان عليها أن تعرف.. وهزت رأسها غاضبة من نفسها بقدر غضبها منه.

سأل باركر: «لدي؟».

ـ أجل.. وكان عليّ أن أعرف هذا من قبل.. يجد الأبطال عادة صعوبة في الكشف عن نقاط ضعفهم.. ويبدو أن هذه.. المرأة.. التي أحببتها، جرحت كرامتك، ولمست نقاط ضعفك.. صدقني، هذا أمر اختبرته، ولا داعي لشرحه لي.

استعدت للرحيل وهي تدرك أنها حكمت على باركر بقسوة.

جادلها: «أنت على حق.. لقد أطلعتني على سرّ خبأته في أعماق نفسك وكان عليّ أن أحذو حذوك. لم يكن إنصافاً مني أن أرحل كما فعلت».

ـ ربما.. لكنك كنت صادقاً مع نفسك.

أوشكت أن تودّعه وأن تخرج من الباب لكن نظرة الألم التي ظهرت على وجهه استوقفتها.

ـ سأقول لك.. من الإنصاف أن تعرفي.. اجلسي.

فعلت بايلي ما طلبه منها، وراحت تراقبه بحذر.

ابتسم باركر، لكنها لم تكن ابتسامته الفاتنة المعتادة.. بل ابتسامة متوترة، وكأنها تكشيرة ألم.

ـ كان اسمها ماريا.. التقيتها أثناء وجودي في إسبانيا منذ خمس عشرة سنة. كنا صغيرين جداً، ووقعنا في الحب. أردت أن أتزوجها وأن أصطحبها معي إلى أميركا.. لكن عائلتها.. حسناً.. يكفي أن أقول إن عائلتها رفضت أن تتزوج ابنتها غريباً، وحالت مئات السنوات من التقاليد، والعادات بيننا. وحين خيرّت ماريا بين عائلتها وبيني، اختارت أن تبقى في مدريد.

وصمت ثم هزّ كتفه قبل أن يضيف: «أدرك الآن أنها أصابت في

اختيارها، لكن الأمر كان مؤلماً يومها. كما أدرك كم كان قرارها صعباً.. وعرفت بعد بضعة أشهر، أنها تزوجت شخصاً رضيت به عائلتها أكثر من تلميذ أميركي».

ـ أنا آسفة.

هز رأسه وكأنما ليبعد عنه الذكرى.

ـ لا داعي لأسفك. وبالرغم من أنني أحببتها كثيراً.. إلاّ أنّ العلاقة ما كانت لتستمر.. لم تكن ماريا لتسعد هنا، وأدرك الآن مدى بعد نظرها.

ـ لقد أحبتك.

ـ أجل.. أحبتني بقدر ما تجرأت. لكن، في النهاية، كان الواجب والعائلة أهم من الحب.

لم تجد بايلي الكلمات اللازمة لتطييب خاطره. وتألم قلبها للفتى الذي خسر حبه.. مع ذلك لم تستطع سوى أن تعجب بشجاعة الفتاة التي ضحت بقلبها وحياتها من أجل ما تعتبره صواباً.

أضاف باركر: «أعتقد أن ما آلمني أكثر، هو أنها تزوجت شخصاً آخر بسرعة».

وفهمت بايلي ألمه فقالت: «باول وتوم تزوجا بسرعة أيضاً».

هدأ المكتب للحظة، ثم كسر باركر الصمت، قائلاً: «هل سنجلس هنا ونتذكر الأحداث الكئيبة طيلة بعد الظهر؟ أم نخرج لتناول الغداء معاً؟».

ابتسمت بايلي: «يمكنك إقناعي بهذا بسهولة».

كان صباحها بائساً، لكن بعد ظهرها يبدو أكثر إشراقاً الآن. ووقفت، وهي لا تزال تبتسم لباركر: «أمر واحد تعلمته خلال هذه السنوات، وهو ألاّ أدع البؤس ينغص عليّ وقت الطعام».

ضحك باركر، وقال: «الدي مفاجأة صغيرة لك».

ومد يده إلى جيب سترته مضيفاً: «كنت سأستبقيها لما بعد، لكن يبدو لي الوقت مناسباً الآن».

وأعطاها بطاقتين، فنظرت بايلي إليهما وقد فقدت قدرتها على النطق.

قال باركر شارحاً: «بطاقتان لحفلة «البوب». كما سيقدمون عرضاً لموسيقى الروك في الستينات. وبدا لي من المناسب أن يحضرها جانيس ومايكل».

***

www.elromancia.com

٨ ـ بطل رغماً عنها

لم تدرك بايلي مدى استمتاعها بالوقت الذي تمضيه مع باركر حتى انتهت وجبة الغداء. فقد جلسا قبالة بعضهما على الطاولة وتبادلا الحديث كصديقين قديمين. لم تشعر من قبل بمثل هذا الارتياح، ولا سمحت لنفسها يوماً بأن تكون أكثر انفتاحاً. وأدركت أن مشاعرها تشهد تغييراً نسبياً إنما أساسياً.

لقد حل الرضى والأمل مكان الخوف والحذر.

وأدركت هذا أكثر حين قطعا ساحة الاتحاد، وراحا يرميان فتات الخبز للحمام النهم. كان الضباب الصباحي قد تلاشى وأشرقت الشمس في عرض نادر.. أما الساحة فتعجّ بالسياح، والمسنين وعمال المكاتب الذين يتناولون الغداء في الهواء الطلق. ولطالما أحبت بايلي هذه الساحة، لكن وجودها فيها الآن برفقة باركر، جعل منها مكاناً عزيزاً على قلبها.

وبدا باركر مسترخياً أيضاً، وأخذ يتكلم بحرية عن نفسه، وهذا ما لم يفعله من قبل. قال إنه أكبر أخوته الثلاثة، والوحيد الذي لم يتزوج بعد.

قالت بايلي: «أنا طفلة العائلة ومدللة للغاية. لقد بذل والداي جهودهما لإقناعي بالعدول عن رأيي حول الانتقال إلى كاليفورنيا».

ـ وما الذي جعلك تتركين أوريغون؟

انتظرت بايلي الألم الذي يعتصر قلبها كلما فكرت في توم، لكن هذا الألم لم يظهر، لأنه ببساطة لم يعد موجوداً.

تأملت الطيور المجتمعة حول حفنة طعام، وقالت معترفة: «توم».

ـ وهو الخطيب رقم اثنين؟

كان يسير ويديه خلف ظهره، وراحت بايلي تتساءل عما إذا كان يخفيهما لئلا يلمسها.

ـ لقد التقيت توم بعد سنتين من تجربتي مع بول. كان شريكاً في مؤسسة المحاماة حيث كنت أعمل كمساعدة. خرجنا معاً لأشهر، ثم شاركنا في قضية معاً، وانتهى بنا الأمر ونحن نقضي وقتاً طويلاً سوياً. وبعد ثلاثة أشهر، أعلنا خطبتنا.

وضع باركر يده بخفة على كتفها وكأنه يدعمها، فابتسمت له شاكرة.

ـ في الواقع لم يعد هذا يؤلمني حين أتكلم عنه.

لقد شفى الوقت جروحها، أو كما اعتادت أن تقول: الزمن يشفي الجروح كلها.

وتابعت: «بعد ذلك قابل ساندرا، وكل ما أعرفه هو أنهما يعرفان بعضهما البعض منذ الطفولة. ما أذكره هو أننا كنا على وشك الزواج، وأصبحت الدعوات في الطباعة، حين قال لي إنه يخرج مع شخص آخر».

ـ وهل فوجئت؟

ـ صدمت.. لكن أعتقد أنه كان عليّ أن ألاحظ الأعراض.. إنما كنت غارقة في تحضيرات العرس، من شراء الفساتين للاشبينتين، وترتيب أمر الزهور، وما إلى هنالك. في الواقع، انشغلت في اختيار الأواني المنزلية بحيث لم ألاحظ أن خطيبي لم يعد يحبني.

ـ تجعلين الأمر يبدو وكأنك المخطئة.

هزت كتفيها وقالت: «بطريقة ما، أعتقد أنني اخطأت، واعترف بهذا الآن، فأنا أرى أخطائي. لكن هذا لا ينفي أنه كان خطيبي، ويقابل امرأة أخرى، سراً».

ـ لا.. هذا لا ينفي ذلك. وماذا فعلت حين اعترف لك؟

كان يمسكها من كتفها، فمالت نحوه، تستند إلى قوته. ثقل ذلها لم

يعد مدمراً، لكنه لم يغب، والكلام عنه يولد فيها مشاعراً لم تشأ أن تواجهها. وكان من السخرية أن تبحث الموضوع الآن، بعد هذه السنوات، ومع رجل آخر.

ـ وهل سامحته؟

وقفت بايلي، وضربت ورقة شجر على الأرض بمقدمة حذائها.

ـ أجل.. فكرهه كلفني الكثير من الطاقة. كان آسفاً بالفعل، وإلى أن اعترف تحولت حياة المسكين إلى جحيم. حاول جاهداً ألاّ يفعل أو أن يقول ما يؤلمني، وأقسم أنه لزمه ربع ساعة ليقول لي إنه يريد إلغاء الزفاف، ونصف ساعة أخرى ليعترف بوجود امرأة أخرى في حياته. وأذكر الإحساس المغثي في معدتي.. شعرت وكأنني سأمرض.. أصابتني الأعراض كلها فجأة.

وعادت بذاكرتها إلى ذلك اليوم الرهيب حين راحت تحدق في توم، والصدمة تتملكها، في حين بدا هو غير مرتاح أبداً، وأخذ ينظر إلى يديه، والانزعاج والارتباك يخنقان صوته.

وتذكرت بايلي: «لم أبك يومها.. ولم أشعر حتى بالغضب، على الأقل ليس في البداية، أظن أنني لم أشعر بشيء البتة».

وابتسمت لباركر متكدرة، قبل أن تتابع: «بعد إعادة النظر في المسألة، أدركت أن كرامتي لم تسمح لي بهذا.. وأذكر أنني قلت أشياء تافهة جداً».

ـ مثل ماذا؟

سرّحت بايلي نظرها، وأجابت: «قلت له إني أتوقع منه دفع ثمن بطاقات الدعوة. لقد طلبناها مطبوعة بأحرف ذهبية، وهذا مكلف جداً.. كما أنني لم أكن أملك المال الكافي لثوب العرس».

ـ آه.. فستان العرس الشهير المستخدم قليلاً.

ـ كان باهظ الثمن!

قال بعينين حنونتين: «أعرف، في الواقع.. واجهت المسألة كلها

بطريقة عملية».

ـ لست أدري. طريقة عمل الدماغ غريبة أحياناً في مواقف كهذه، أذكر أنني أعتقدت أن بول وتوم يعرفان بعضهما البعض، وكنت مقتنعة بأنهما تآمرا عليّ.. وهذا أمر سخيف.

ـ أفهم من هذا أنك قررت الانتقال إلى سان فرانسيسكو بعد فسخ خطوبتك.

هزت رأسها وقالت: «في غضون ساعات، قدمت استقالتي من شركة المحاماة وبدأت أخطط للانتقال».

ـ ولماذا اخترت سان فرانسيسكو؟

ضحكت بخفة وردّت: «أتعرف.. لست متأكدة حقاً. لقد زرت المنطقة أكثر من مرة في الماضي، وكان الطقس سيئاً بشكل متواصل. كتب «مارك توين» مرة أن أسوأ شتاء قضاه في حياته كان صيفاً في سان فرانسيسكو. وأعتقد أن المدينة، بسمائها الملبدة بالغيوم، وصباحها الضبابي، ناسبت مزاجي. ولا أعتقد أنني كنت قادرة على تحمل الأيام المشرقة والمشمسة والليالي التي ينيرها القمر في أوريغون».

ـ وماذا حدث لتوم؟

رفعت بايلي رأسها لتنظر إليه، مجفلة من سؤاله: «ماذا تعني؟».

ـ هل تزوج ساندرا؟

ـ يا للسماء.. لست أدري.

ـ ألم ينتابك الفضول؟

بصراحة، لم تكن فضولية. فهو لم يكن يريدها، وهذا الشيء الوحيد الذي يهمها. أحست بالخيانة، والإذلال، والهجر. لكن ما إذا ندم توم يوماً أو فشلت علاقته بساندرا، فهذا ما لا تعرفه أبداً، لأنها لم تبق طويلاً لتعرف، كما لم تشأ أن تعرف، ليس في ذلك الحين.

أرادت أن تبتعد، عن عملها، عن أوريغون، عن حياتها المملة.. وإذا كان عليها أن تقع في الحب، فلمَ لا يصادفها سوى رجال ضعفاء؟

رجال يبدلون رأيهم باستمرار، رجال لا يعرفون الحب الحقيقي، رجال لا يعرفون ما يريدون.

لعل السبب عيب في شخصيتها هي يدفعها لاختيار مثل هؤلاء الأشخاص. ولهذا لم تنشىء أيّ علاقة مع الجنس الآخر، ولهذا أيضاً تتمتع بقراءة قصص الحب، وبكتابتها. فالقصص الرومانسية نهايتها سعيدة، وهذا ما لم تعرفه في حياتها.

القصص التي تقرأها وتكتبها، تروي قصص رجال حقيقيين، أقوياء، تقليديين، أهل للثقة.. وقصص نساء لسن مثلها.

وكانت تبحث عن بطل حين التقت باركر دايڤدسون صدفة. أجل.. تستطيع أن تعترف أنّ قلبها يفيض دفئاً عند رؤيته. وهو على هذا الحال منذ أسابيع، مع أنها ترفض الاعتراف.. حتى الساعة.

داعبت عينا باركر القاتمتان عينيها: «يسرّني أنك اخترت الانتقال إلى منطقة الخليج».

ـ أنا أيضاً.

سأل وهما عائدان: «هل ستغيّرين رأيك؟».

ولا بد أنه لاحظ التشوش في عينيها، فأضاف: «ماذا عن الحفلة الموسيقية الليلة؟ إنها بمناسبة عيد العشاق».

ـ وأنا أتشوق لحضورها.

كانت قد نسيت أي يوم هذا، وأحست فجأة بقشعريرة الإثارة لفكرة قضاء أمسية رومانسية مع باركر دايڤدسون مع أن هذا يعني أن لا وقت لديها للعمل على «لك إلى الأبد».

ابتسم لها: «فكري في الحفلة الموسيقية كنوع من البحث».

ـ سأفعل.

قد تصاب المرأة بالعمى وهي تبتسم لعينين مشعتين مثل عيني باركر، اللتين تعكسان إثارة وقوة طبيعية.

قالت على مضض، وهي ترفع يدها بالتحية: «وداعاً».

ـ إلى أن نلتقي الليلة.

وبدا كارهاً الفراق مثلها. فكررت بنعومة: «الليلة».

رأت ألمها ينعكس في عينيه حين أخبرته عن توم، فهو يفهم معنى أن يفقد المرء شخصاً يحبه. وأحست بتقارب شديد مع باركر. شعرت بصدق مريح ومنفتح نادراً ما أحست به من قبل.

قال:

ـ سأمر لآخذك في السابعة.

ـ عظيم.

واقتنعت بأنه كان ليعانقها لولا وجودهما في مكان عام لكنها ما كانت لتمانع.

مر بعد الظهر كلمح البصر، فيما بدت فترة الصباح بطيئة مملة. وما كادت تعود إلى المكتب، حتى حان موعد جمع أغراضها والعودة إلى المنزل.

وجدت ماكس ينتظرها حين فتحت الباب.. وضعت بريدها على طاولة المطبخ، وأطعمته بسرعة. وبدا ماكس مندهشاً لسرعتها، ونظر إلى طعامه لحظات عدة وكأنه يتردد في تناوله.

وتذمرت من أنه من المستحيل إرضاء هذا القط المتمرد، ثم توجهت إلى غرفة نومها، وفتحت باب الخزانة.

وراحت تتأمل محتوياتها لدقائق، قبل أن تتخذ قرارها.. فستان معرّق ارتدته حين كانت في الكلية.. وبدا القماش الصوفي المعرّق مشرقاً ومرحاً. ولو أبلغها باركر من قبل، لخرجت واشترت ثوباً جديداً.. ثوب أحمر اللون اكراماً لعيد العشاق.

كانت المقاعد التي حجزها باركر في «المركز الوطني» من بين أفضل الأماكن، على مسافة قصيرة من المقاعد الأمامية.

بدت الموسيقى رائعة، مبهجة، ورومانسية.. وعزفت مقطوعات كلاسيكية عرفتها بايلي، فضلاً عن موسيقى روك ناعمة، وعدد من الأنغام

الشعبية القديمة.

كانت الفرقة الموسيقية ممتازة، وقربهما من المسرح منح بايلي فرصة مميزة، أحست معها بالدموع تتجمع في عينيها.

رفقة هذا الرجل الدافىء الكريم، جعلت الأمسية رائعة. في بداية العرض، مد باركر يده إلى يدها، وحين انتظمت ضربات قلبها مجدداً أحست بشعور لم تختبره من قبل، أو على الأقل منذ ألغى توم الزفاف.

شعرت بالرضى.. الرضى التام الكامل.

أغمضت عينيها لتستمتع بالموسيقى، وحين فتحتهما بعد لحظات، وجدته يتفرس فيها. فابتسمت بخجل، وبادلها الابتسام. في تلك اللحظة، ضربت الصنوج النحاسية، فانتفضت بايلي وكأنها ضبطت في تصرف غير قانوني.. ضحك باركر ورفع يدها إلى شفتيه، ليطبع عليها قبلة ناعمة.

قدمت الفرقة الثانية عرضها بعد الاستراحة. ووجدت بايلي موسيقاهم غير مألوفة في ما عدا مقطوعتين أو ثلاث من الروك.. واستجاب الحضور بحماسة لحيوية الفرقة وإحساسها المرح، فراح بعض الأشخاص يتمايلون مع الأنغام. وبعد قليل تحرك بعض الموجودين وبدأوا الرقص. ودّت بايلي أن تنضم إليهم، لكن بدا أن باركر يفضل البقاء جالساً.. ولم تستطع تركه بحثاً عن شريك.

أخيراً، وقف جميع من حولهما وتحرك إلى باحة الرقص، إلى أن لاحظت أنهما الوحيدان اللذان لم يقفا بعد.

نظرت إلى باركر، لكنه بدا غافلاً عما يجري حولهما.. كما خيّل إليها أنها سمعته يتذمر من أنه لا يستطيع رؤية الفرقة الموسيقية بسبب الحشد.

تحرك رجل أصلع يكبرهما، ودنا منهما، ثم ربت على كتف بايلي: «آنسة؟».

كان يرتدي قميصاً مفتوحاً حتى الخصر وحول عنقه ما لا يقل عن

خمسة باوندات من الذهب. وبدا جلياً أنه لم يتجاوز بعد مرحلة السبعينات.

ـ هل ترغبين في الرقص؟

لم تكن بايلي تتوقع دعوته، ولم تكن واثقة مما عليها فعله فهي جاءت مع باركر.. وقد يعترض.

قال باركر يطمئنها: «هيا.. اذهبي».

وبدا فعلاً أنه ارتاح حين طلب منها شخص آخر أن ترقص.. ولعله شعر بالذنب لأنه لم يراقصها بنفسه.

هزت كتفيها ووقفت، ثم نظرت إليه مرة أخيرة لتتأكد من أنه لن يمانع، ودفعها بتلويحة من يده.

أحست بايلي بخيبة أمل، وتمنت من صميم قلبها أن يراقصها باركر، وليس شخصاً غريباً.

قال الرجل الذي يضع السلاسل الذهبية، وهو يمد لها يده: «مات كوبر».

ـ بايلي يورك.

وابتسم وهو يضع ذراعه حول خصرها النحيل.

ـ لا بد أن الرجل الذي يرافقك يعاني من مشكلة ما ليتركك جالسة هناك.

ـ لا أعتقد أن باركر يحب الرقص.

كان قد مر زمن طويل منذ رقصت بايلي، ولم تعد واثقة من خطواتها. لكن ما كان عليها أن تقلق، فالمساحة ضيقة جداً بحيث لا يمكنها أن تتحرك سوى إنشات قليلة في أي اتجاه.

الأغنية التالية التي قدمتها فرقة «هيرسپراي» أغنية روك من الستينات.. وأدهشها شريكها مات، بأن أطلق صفرة مرتفعة. الصوت الحاد قاطع الموسيقى، وصخب الجمع والتصفيق. وضحكت بايلي بالرغم عنها.

كانت الأغنية سريعة ومألوفة.. وبدأت بايلي بالتمايل والتحرك على وقع الأنغام. وقبل أن تدرك ما يحدث، وجدت نفسها بعيدة عن شريكها، إلى جانب رجل وسيم، يماثل باركر من حيث العمر. بدا جلياً أنه يتمتع بأداء الفرقة.

ابتسم لبايلي فردّت بابتسامة خجولة. وعزفت الأغنية التالية لحن قديم، أغنية كتبت للعشاق الشبان الخالي البال.

حاولت بايلي العودة إلى مقعدها قرب باركر، لكن المقاعد كانت فارغة.. التفتت من حولها تبحث عنه فلم تجده.

قال الرجل الوسيم، وهو يمد لها يده: «من الأفضل لنا أن نرقص.. فشريكي اختفت في مكان ما».

ـ وشريكي اختفى.

فتشت في الجمع، لكنها لم تجد باركر.. وكان المكان مزدحماً بحيث تستحيل رؤية أي شخص بوضوح. وبشيء من القلق تساءلت كيف سيجدان بعضهما البعض حين تنتهي الحفلة الموسيقية.

رقصت مع الشريك الجديد رقصات عدة دون تبادل الأسماء، وأخذ شريكها يرقص بخبرة أخفت نقص حركاتها. وأنهيا رقصة سريعة تركت بايلي محمرة الوجه من شدة الإرهاق.

حين قدّمت فرقة «هيرسپراي» أغنية بطيئة أخرى، بدا لبايلي من الطبيعي أن تراقص شريكها المؤقت. وقال شيئاً ما ثم ضحك، لكن بايلي لم تستطع فهم كلماته، فاكتفت بالابتسام له. وكانت على وشك الكلام، حين لمحت باركر وهو يشق طريقه نحوهما، عابساً.

قالت وهي تبتعد عن الرجل الذي يراقصها: «صديقي هنا».

ونظرت إليه معتذرة، فتركها من دون حماس.

قالت حين وصل باركر إليها: «ظننت أنني أضعتك».

فرد بلهجة باترة: «وأنا أظن أنّ الوقت قد حان لنرحل».

التفتت بايلي إليه وقد أدهشها توتره: «لكن الحفلة الموسيقية لم تنته

بعد. ألا يجب أن نبقى إلى أن تنتهي فرقة هيرسپراي على الأقل؟».

ـ لا.

ـ ماذا جرى؟

دس يديه في جيبيه وقال: «أنا لم أعارض فكرة رقصك مع الرجل الأول. لكني رأيتك فجأة تراقصين رجلاً آخر».

ـ أنا لم أختر أحداً.. لقد فصلتنا الجموع عن بعضنا.

ولم تعجبها لهجته والمعنى المبطن لكلماته.

ورد عليها: «إذن، كان عليك أن تعودي إلي».

ـ وهل كنت تتوقع مني، صدقاً، أن أكافح لأشق طريقي عبر الجموع هذه؟ ألم تلاحظ مدى اكتظاظ الممرات بين المقاعد؟

ـ لقد وصلت أنا إليك.

تنهدت بايلي، تقاوم إغراء الرد الساخر الذي خطر لها، لكنها خسرت المعركة.

ـ هل تريدني أن أعطيك جائزة «الكشاف الصغير»؟ لكنها لا تعطى من أجل الدفع والاقتحام.

لمعت عينا باركر سخطاً: «أنا لم أدفع أحداً، وأعتقد أنه من الأفضل لنا أن نجلس..».

وأمسك بيدها، وقادها إلى مقعديهما، مكملاً: «.. قبل أن تجعلي من نفسك محطاً للأنظار».

تمتمت بغضب: «محطاً للأنظار؟ إذا ما لفت أحدهم النظر إليه فهو أنت! أنت الشخص الوحيد الذي لم يكن يرقص».

ـ ولم أكن أتوقع من رفيقتي أن تذهب مع رجل آخر.

ورمى بنفسه في مقعد وكتف ذراعيه، وكأنه لا ينوي متابعة النقاش.

كررت: «رفيقتك! هل لي أن أذكرك أن هذه الأمسية بغرض «البحث» ليس إلاّ؟».

انتفض باركر غير مصدق: «هذا ليس ما أذكره.. بدوت حينها

متشوقة للغاية».

وضحك بصوت ساخر قبل أن يضيف: «أنا لم أكن ألاحقك».

جداله راح يلفت الانتباه أكثر مما به ترغب بايلي. فجلست على مضض وهي تضم يديها بتزمت في حجرها، وتنظر أمامها مباشرة. وقالت عبر أسنانها المشدودة: «أنا لم ألاحقك.. وأنا لم ألاحق رجلاً في حياتي».

ـ أوه.. سامحيني إذن. كدت أقسم بأنك أنت من لحقت بي حين نزلت من القطار السريع.. هل تعلمين أن امرأة تشبهك تماماً لحقت بي إلى الحي الصيني؟

رفعت بايلي يديها عالياً وتأوهت: «أووه.. أنت لا تطاق».

ـ أنا يا حبيبتي؟ لكنني محق.

لم ترد بايلي، ووضعت ساقاً فوق ساق وراحت تلوّح بكاحلها بغضب إلى أن انتهت الحفلة الموسيقية.

ولم ينطق باركر بكلمة وهو يرافقها إلى سيارته. وبدا هذا مناسباً لبايلي، فهي لم تقابل في حياتها انساناً مثله. منذ أقل من ساعة، كانا غارقين في الأحاديث، وسمحت لنفسها بأن تحلم في لحظة ساحرة. ويا له من عيد للعشاق!

افترقا على وداع أقل من مهذب، وطلبت منه بايلي ألاّ يرافقها إلى الباب. لكنه رفض، لمجرد العناد. وأرادت أن تجادل، لكنها عرفت أن لا جدوى من الجدال معه.

كان ماكس عند الباب يستقبلها، بذنبه الذي يلوح في الهواء. وبقي قريباً منها، يحتك بساقيها، وكادت أن تتعثر به وهي تخلع ملابسها بسرعة، وتستعد للنوم. وبدأت تخبره عن أمسيتها، لكنها غيرت رأيها واندست في الفراش، ورفعت الأغطية فوق رأسها لتجبر باركر دايڤدسون على ترك أفكارها.

كانت جو آن تنتظر بايلي على رصيف محطة القطار في الصباح

التالي، وسارعت إليها تسألها: «حسناً؟ كيف كان موعدك؟».

ـ أي موعد؟ لا يمكنك أن تسمّي خروجي مع باركر موعداً.

بدت الحيرة على جو آن: «ولمَ لا؟».

ـ حضرنا حفلة الپوپ..

فأنهت جو آن جملتها: «..للبحث وحسب.. أفهم من هذا أن الأمسية لم تكن ناجحة».

تقدمنا إلى السلم المتحرك ونزلنا إلى القطار.

ـ كانت الليلة كارثة حقيقية.

حثتها جو آن: «هيا أخبري «ماما» كل شيء».

لكن بايلي لم تكن في مزاج يسمح لها بالكلام. وقامت بجهد كبير لتشرح ما حدث، وتروي تصرف باركر غير المنطقي. وأخبرتها بأنها لم تنم جيداً، لأنها ارتكبت الخطأ عينه الذي ارتكبته مع الرجلين الآخرين في حياتها، حين افترضت أن باركر مختلف. لكنه لم يكن كذلك.. بل هو مغرور، غير منطقي ومتعجرف. وأنهت كلامها باكتئاب: «كنت مخطئة حين ظننته بطلاً».

عبست جو آن وقالت: «دعيني أرى ما إذا فهمتك جيداً. بدأ الناس يرقصون.. وطلب منك رجل أن ترقصي معه.. ثم افترقت عنه ورقصت مع رجل آخر، وبدأ باركر يتصرف كأحمق غيور».

ـ بالضبط.

فقالت جو آن بحماس: «بالطبع سيفعل.. ألا ترين؟ كان يتصرف بحسب الشخصية.. ألم يحدث الأمر ذاته مع جانيس ومايكل حين ذهبا إلى الحفلة الموسيقية».

كانت بايلي قد نسيت هذا تماماً، واعترفت ببطء: «الآن تذكرت.. أجل».

وقالت جو آن: «لقد أطلعت باركر على هذا المشهد.. ألا تذكرين؟».

وتذكرت بايلي، في حين تابعت جو آن: «حين ستعيدين صياغة المشهد، ستعرفين بالخبرة ما شعرت به جانيس بالضبط، فهي المشاعر نفسها التي أحسست بها.. كيف يمكنك أن تغضبي منه؟ يجب أن تكوني ممتنة».

ـ حقاً؟

فأصرت جو آن: «طبعاً.. فباركر دايفدسون بطل أكثر مما تدرك أيّ منا».

***

٩ ـ وردة حمراء

سألت جو آن، حين التقت بايلي على الغداء في اليوم ذاته: «ألم تفهمي ما فعله باركر؟».

ـ بل فهمته.. إنه.. إنسان الكهف.. هذا ما ظهر في تصرفه.

جادلتها جو آن، وهي تبدو غامضة: «مخطئة.. لقد أعطى بعداً حقيقياً لشخصية قصتك، ولتصرفاتها».

لوّحت بايلي بملعقتها فوق طبق حساء «البروكولي»، وقالت: «ما فعله، هو أن أفسد ما بدأ كأمسية جيدة».

ـ لقد قلت إنه تصرف كأحمق غيور، لكن يجب أن تتذكري أنها ردة فعل مايكل حين رقصت جانيس مع رجل آخر.

ـ إذن، لقد تجاوز واجباته، ولن أكافىء هذا التصرف في رجل.. بطلاً كان أم لم يكن.

وكسّرت قطعة بسكويت فوق الحساء، ثم فركت راحتيها للتخلص من الفتات.

كانت أمسية بايلي مع باركر رومانسية ورائعة إلى أن قبلت الدعوة إلى الرقص. لقد جلسا معاً وهما يمسكان بيديّ بعضهما البعض، فيما الموسيقى تصدح. ثم بدأ الرقص، وانقلب فارسها إلى تنين ينفث اللهب.

سألت جو آن، مغيّرة الموضوع فجأة: «اجتماع مجموعة النقّاد الليلة، هل نسيت؟».

www.elromancia.com

شغل باركر تفكير بايلي فأنساها ما يدور من حولها، وتركها شاردة الذهن.

ـ الليلة؟

ـ في السابعة.. في منزل دارلين، ستحضرين، أليس كذلك؟

ولم تحتج بايلي للتفكير في الأمر، فأجابت: «طبعاً».

كانت النسوة في جمعيتهن، يتناوبن كل أسبوعين لاستضافة الحلقة التي يقيّمن فيها أعمال بعضهن بعضاً.

ـ حسن جداً. للحظة تساءلت عما إذا كنت ستحضرين.

فسألت بايلي: «ولمَ لا أحضر؟».

إنها مخلصة لعملها مثل الكاتبات الاخريات ولم تترك لقاءاً واحداً يفوتها منذ تشكيل الجمعية، قبل شهرين.

ـ ظننت أنك ستقضين الأمسية مع باركر، فأنتما بحاجة إلى بحث خلافاتكما. وستبقين بائسة إلى أن تحلي هذه المسألة.

أنزلت بايلي ملعقتها ببطء: «بائسة؟».

وأطلقت ضحكة هستيرية قصيرة، قبل أن تضيف: «هل أبدو لك محطمة القلب؟ صدقاً جو آن.. أنت تفتعلين «من الحبة قبة». لقد تشاجرنا، ولا أريد رؤيته، وأنا واثقة من أنه يبادلني الشعور. لهذا سأحضر الاجتماع الليلة».

شربت جو آن قهوتها بهدوء، ثم قالت بهدوء مماثل: «أنت بائسة.. لكنك أكثر فخراً من أن تعترفي».

قامت بايلي بجهد كبير لتبتسم ورددت: «لست بائسة».

ـ كم ساعة نمت ليلة أمس؟

ـ لماذا؟ هل لدي هالات سوداء تحت عيني؟

ـ لا.. أجيبي فقط على سؤالي.

ابتلعت بايلي ريقها بصعوبة وقالت: «ما يكفي.. ماذا بك؟ لو لم أكن أعرفك جيداً، لقلت إنك أصبحت تكتبين القصص البوليسية.. باركر

دايفدسون وأنا افترقنا. وكان هذا سيحصل في النهاية على الأرجح. كما من الأفضل اكتشاف هذه الأشياء منذ بداية.. العلاقة».

وهزت كتفيها ساخرة قبل أن تتابع: «ومن المضحك أن تنتهي في عيد العشاق».

ـ إذن، لن تريه بعد الآن؟

ـ لا يمكننا على الأرجح تجنب اللقاء، لاسيّما وهو يستقلّ القطار. لكنني لا أنوي أن أخرج معه مرة أخرى، ويمكنه توفير تصرفاته كرجل الكهف لشخص غيري.

ـ شخص غيرك؟

نطقت جو آن بالكلمتين بلهجة حزينة. قبل التعرف إلى باركر، لم تكن بايلي قد عرفت سوى القليل القليل من طبيعة صديقتها الرومانسية.

أنهت بايلي الحساء، ونظرت إلى ساعتها، فأدركت أن أمامها أقل من خمس دقائق لتعود إلى عملها.

قالت جو آن: «بالنسبة إلى الليلة.. سأمر لآخذك، حوالى الساعة السادسة والنصف.. وهذا يتوقف على السرعة التي سأعود فيها إلى البيت، وأحضر فيها الطعام».

ـ السادسة والنصف وقت ممتاز.

افترقتا، وأسرعت بايلي إلى مكتبها. وأول ما وقع عليه نظرها، باقة الورود الحمراء على مكتب الاستعلامات.

سألت وهي تخلع معطفها وتعلقه: «هل اليوم عيد ميلادك يا مارتا؟».

فردّت السكرتيرة شاردة الذهن: «ظننتها لك».

ـ لي أنا؟

ـ البطاقة تحمل اسمك.

وتوقف قلب بايلي عن الخفقان.. هل أرسل لها باركر الزهور؟ يبدو هذا بعيد الاحتمال. ومع ذلك..

ـ اسمي على البطاقة؟

ـ أوصلها منذ أقل من عشر دقائق رجل طويل القامة، وسيم المظهر، يرتدي بذلة رمادية مخططة بخيط رفيع. وبدا خائب الأمل حين قلت له إنك خرجت للغداء مبكرة.. من هو هذا الرجل على أي حال؟ يبدو لي مألوفاً.

لم ترد بايلي، وأخذت المغلف الصغير وأخرجت منه البطاقة التي كُتب عليها: «سامحيني.. باركر».

أحست بالضيق الذي يعتصر قلبها يتلاشى فجأة.

قالت مارتا وهي تعطيها ورقة مطوية: «أوه.. كدت أنسى. بما أنه لم يجدك ترك لك رسالة».

حملت بايلي الورد الأحمر بيد، والرسالة في الأخرى، وسارت ببطء إلى مكتبها. وبأصابع يحرقها الشوق، فتحت الرسالة التي تقول: «بايلي أنا آسف لأنني لم أجدك.. يجب أن نتكلم.. هل يمكنك أن تتناولي العشاء معي الليلة؟ إذا وافقت، سأمر لأصطحابك عند الساعة السابعة.. وبما أنني مشغول طيلة بعد الظهر، اتركي لي رسالة مع روزان».

ودوّن رقم هاتف مكتبه، فمدّت بايلي يدها إلى الهاتف من دون تفكير، وردّت موظفة الاستعلامات الودودة الكفؤة عند أول رنة.

ـ مرحباً روزان.. أنا بايلي.

ـ أوه.. بايلي أجل. يسرّني سماع صوتك. قال السيد دايڤدسون إنك ستتصلين.

ـ تأخرت دقائق ففاتتني رؤيته.

ـ لا بد أن الأمر محبط لكليكما. كنت قلقة عليه هذا الصباح، فقد جاء إلى المكتب، ولم يستطع الجلوس هادئاً. عملت مع السيد دايڤدسون لعدة سنوات، ولم أره يوماً بهذا الشكل.

ـ لا بد أنّ أمراً هاماً يتعلق بعمله يشغله.

لكن المرأة أصرّت: «لا، لا أظن. عاد إلى مكتبه ثم خرج فوراً ليسألني ما إذا كنت أقرأ روايات عاطفية. أنا أقرأها أحياناً، مما أرضاه على

ما يبدو، فجذب كرسياً وبدأ يطرح عليّ الأسئلة عن شخصية البطل، فأجبته بقدر ما استطعت».

ـ أنا واثقة من أنك كنت ناجحة في ذلك.

ـ لا شك في هذا. لأنه ابتهج وسألني أي نوع من الزهور يعجب المرأة أكثر. وقلت له إنها الورود، فراح يفتش في دليل الهاتف عن بائع زهور.. ولسوء الحظ لم يعده أي بائع زهور بإيصالها هذا الصباح، لذا قرر أن يوصلها بنفسه، ولقد اتصل منذ دقائق ليقول لي إنك ستتصلين اليوم وإن عليّ أن أتلقى منك رسالة.

ـ لقد عدت لتوي من ساعة الغداء.

إذن، صباح باركر لم يكن أفضل من صباحها، وأحست بايلي بالابتهاج. لقد تمكنت من أن تبدو خالية البال في حضور جو آن، لكنها تشعر باكتئاب رهيب، بل أسوأ من ذلك. ولم ترغب في بحث أمر بؤسها، فمن الأسهل أن تدّعي أن باركر لا يعني لها شيئاً.

لكن جو آن على حق، إنها فعلاً بائسة.

ـ هل يمكن أن تقولي للسيد دايڤدسون إنني سأكون مستعدة عند الساعة السابعة؟

ستتصل بجو آن لاحقاً لتقول لها إنها لن تتمكن من حضور اجتماع النقّاد.

قالت روزان: «أوه.. يا إلهي.. هذا خبر جيد. سأمرر الرسالة ما إن يتصل. أنا مسرورة جداً، فالسيد دايڤدسون رجل عزيز جداً، لكنه يعمل بجهد كبير. وهو يحتاج منذ زمن طويل إلى فتاة لطيفة مثلك.. أليس من العجيب أنكما تعرفان بعضكما البعض منذ زمن بعيد؟».

ـ حقاً؟

ـ أوه.. أجل.. ألا تذكرين؟ لقد جئت إلى المكتب ذلك الصباح وقلت لي إن السيد دايڤدسون صديق قديم للعائلة. لا بد أنك نسيت ذلك.

أحست بايلي بالحرج للكذبة السخيفة وتمتمت: «أوه.. أوه..

أجل. حسن جداً، أعطه الرسالة وسأكون ممتنة جداً».

ـ سأعلمه في أسرع وقت ممكن.

وترددت المرأة قليلاً، وكأنها تريد إضافة شيء ما، ثم اتخذت قرارها وتسارعت الكلمات على شفتيها: «كما ذكرت سابقاً، أني أعمل مع السيد دايڤدسون منذ سنوات عدة. ويجب أن تعرفي أنها المرة الأولى التي يرسل فيها وروداً إلى امرأة».

أحست بايلي وكأنها تحلق فوق السحاب.. وفي الخامسة تماماً، سارعت إلى متجر قريب، وهي تحمل وردة واحدة طويلة. وما هي إلا دقائق حتى وجدت فستاناً من الحرير، قرمزي اللون. كان باهظ الثمن، لكنه بدا رائعاً عليها. وسارعت إلى متجر الأحذية لتشتري حذاءاً يلتق بفستانها الجديد، ثم ابتاعت قرطين وعقداً من الذهب.

وما إن انتهت حتى أسرعت إلى نفق القطار، محمّلة بما اشترته وبالوردة الحمراء. ولم تهتم بما دفعته ثمناً لهذه الأغراض، فجلّ ما أرادته هو أن تبدو جميلة، لأن باركر يستحق ذلك. لم تتلقَ الورود يوماً، وكلما فكرت بالأمر، أحست بقلبها يذوب بين ضلوعها. ياله من تصرف! وقد بحث الأمر مع السيدة سنايدر أيضاً.

ومع حلول الساعة السادسة والنصف كانت شبه جاهزة. لكن بقي عليها أن تسرّح شعرها وتجدد زينتها، ولن يتطلب هذا وقتاً طويلاً. وكانت تقف أمام المرآة تتأمل مظهرها وتصلح هندامها، حين سمعت قرعاً على الباب.

أوه.. لا..! وصل باركر مبكراً، ومبكراً جداً. فإما أن تطلب منه أن يعود لاحقاً، وإما أن تسرع لئلا ينتظرها طويلاً. ومررت أصابعها في شعرها ثم فتحت الباب بلهفة.

سألتها جو آن: «هل أنت جاهزة؟».

ودخلت، وهي تحمل كتابها في يد وحقيبة يدها في الأخرى.. ونظرت مشدوهة إلى بايلي، قبل أن تقول: «جميل جداً.. لكنك متأنقة

أكثر من اللازم لحضور جلسة النقد».

ـ أوه.. لا.. نسيت أن أتصل بك.

كيف أمكنها أن تنسى؟

ـ تتصلين بي؟

أحست بايلي بالذنب، وهو إحساس أصبحت تألفه. لقد شغل باركر كل أفكارها منذ عانقها للمرة الأولى.

لكن ليلة أمس كانت مختلفة. فمنذ انفصالها عن توم، وهي تشعر بالجمود، وكأن مشاعرها ماتت. لكن دفء باركر وكرمه، جعلا الجليد يذوب تدريجياً.

قالت جو آن معلّقة: «أرسل لك أحدهم وردة حمراء».

ودخلت إلى الغرفة، ثم رفعت الوردة لتشمها بتقدير.

ـ أظنها من باركر؟

هزت بايلي رأسها وأجابت: «وجدت دزينة منها في مكتبي حين عدت من الغداء».

ابتسمت جو آن بخبث مزعج، فتمتمت بايلي تشرح: «لقد مر بالمكتب أثناء غيابي، ولم نرَ بعضنا..».

دارت جو آن من حولها، تبدي إعجاباً صريحاً بالفستان.

ـ وستخرجان لتناول العشاء؟

ووقعت عيناها على الحذاء الجديد المناسب لفستانها.

أجابت بايلي: «العشاء؟ ما الذي أوحى لك بهذه الفكرة؟».

ـ الفستان جديد.

ضحكت بايلي بتوتر وسألتها: «هذا الشيء القديم؟».

فشدت جو آن بطاقة السعر المتدلية من كم بايلي وانتزعتها.

تأوهت بايلي وقالت: «مضحك جداً!».

ونظرت إلى ساعتها وتأوهت، آملة أن تفهم جو آن التلميح.

وبدت جو آن مسرورة جداً بتغيّر الوضع وتحسّنه.

- إذن، أنت مستعدة لنسيان ما مضى مع باركر؟

- جو آن.. أرجوك.. سيصل في أيّ لحظة.

وبدا أن صديقتها تتلذذ في تجاهل توسلاتها: «أنت فعلاً مغرمة بهذا الرجل.. ألست كذلك؟».

- بلى.

- وكيف تشعرين حيال هذا؟

وكادت بايلي تختنق وهي تجيب ساخطة: «وكيف أشعر برأيك؟ لقد نُبذت مرتين.. وأنا خائفة حتى الموت.. والآن.. ألا تظنين أن الوقت قد حان لترحلي؟».

وحاولت أن توصلها إلى الباب.. لكن صديقتها لم تفهم الرسالة، فأمسكت بايلي بمرفقها، قائلة: «آسفة لاضطرارك إلى المغادرة بهذه السرعة. لكنني سأوصل تحياتك إلى باركر».

تنهدت جو آن، وقالت: «حسن جداً.. حسن جداً.. أستطيع فهم التلميح حين أسمعه».

لكن بايلي شكّت في ذلك: «قولي للأخريات إن أمراً ما طرأ.. لكنني سأحضر الاجتماع القادم بالتأكيد».

ووضعت يدها على ظهر جو آن تدفعها إلى الخارج: «وداعاً جو آن».

فقالت جو آن من على عتبة الباب: «سأذهب.. سأذهب».

ثم استدارت فجأة لتواجه بايلي بجدية: «عديني بأن تقضي وقتاً طيباً».

- أعدك بذلك.

هذا «إذا» استطاعت أن تستعد قبل أن يصل باركر.. و «إذا» استطاعت أن تسيطر على توترها.. و«إذا»..

ما إن رحلت جو آن، حتى صفقت بايلي الباب وسارعت إلى حمامها. كانت تضع العطر على رسغيها حين سمعت من جديد قرعاً على الباب، فأخذت نفساً عميقاً وفتحت الباب، وهي تتوقع أن تجد جو آن

مع مزيد من النصائح.

همست باضطراب وكأنه آخر شخص تتوقع رؤيته: «باركر».

قطب، وقال: «لقد وصلتني الرسالة بشكل صحيح.. أليس كذلك؟ ألم تتوقعي حضوري؟».

- أوه.. بلى.. بالطبع.. ادخل، أرجوك.

استرخت تعابير وجهه وقال: «عظيم».

دخل الغرفة، لكن عينيه لم تتركا عيني بايلي أبداً.

- أرجو ألاّ أكون قد جئت مبكراً.

أخذت تلوي يديها، وتنظر إلى حذائها كتلميذة خجولة.

- أفهم من هذا أنك استلمت الورود.

فردت مقطوعة الأنفاس: «أوه.. أجل».

ونظرت إلى الوردة التي حملتها معها إلى البيت: «إنها جميلة. تركت الباقي على مكتبي. إنه تصرف رائع منك».

- إنها الطريقة الوحيدة التي وجدتها لأعتذر.. ولم أعرف ما إذا كان البطل يتصرف على هذا النحو أم لا.

- إنه.. يفعل.

- إذن، بقيت ضمن إطار الشخصية مرة أخرى.

- أجل.. ونجحت.

- جيد.

وافتر ثغره عن ابتسامة ساحرة.

- جاء موعد العشاء هذا من دون سابق إنذار.

قالت: «لا أمانع في تغيير خططي».

صحيح أن مجموعة النقد مهمة، لكن الجميع يتخلف أحياناً.

- أعتقد أنه كان علي أن أشرح لك أننا سنتناول العشاء في منزل والديّ. فهل تمانعين؟

والداه؟ وتوترت أعصاب بايلي، لكنها ردت لتطمئنه: «سيسرّني لقاء

عائلتك».

وتمكنت من أن تبتسم له.

ـ أمي وأبي متشوقان لمقابلتك.

ـ حقاً؟

كانت تفضل ألاّ تعرف هذا، وذكر باركر لها أمام عائلته شكّل مفاجأة لها.

سألها: «إذن.. كيف كان يومك؟».

وتقدم بعفوية نحو النافذة، فأخفضت بايلي عينيها وأجابت: «كانت فترة الصباح عصيبة.. لكن بعد الظهر.. كان رائعاً».

ـ لقد تصرفت بالأمس كغبي غيور، أليس كذلك؟

ولم ينتظر ردها بل تابع يقول: «حين رأيتك بين ذراعي رجل آخر، جلّ ما أردته هو إبعادك عنه.. ولست فخوراً بطريقة تصرفي».

ومرر أصابعه في شعره، ليفضح توتراً أكبر.

ـ لا بدّ أنك عرفت أني لست بارعاً في الرقص.. وحين طلب منك ذاك المتخلف من السبعينات مشاركته الرقص، لم أعترض.. وإذا أردت الحقيقة، أحسست بالارتياح. لا شك أنني أفسدت صورة البطل، لكن صدقيني، كان هذا همي الأخير. أعرف أنه يعني لك الكثير، لكنني لا أستطيع أن أغير شخصيتي.

ـ ولا أتوقع منك أن تفعل.

هز رأسه وقال: «أسوأ لحظة في الأمسية كلها، هي تلك التي خدعت فيها نفسي لأتخلّص مما كنت أتطلع إليه بشوق».

ـ وما هو؟

ـ أن أعانقك و..

ـ أوه.. باركر..

سوف يعانقها إذن! وأدركت هذا كما عرفت أنها ستبكي إحباطاً إن لم يفعل. ولم تعرف بايلي من دنا من الآخر، لكنها لاحظت التناغم التام

والفوري بينهما، ومدى ارتياحها بين ذراعيه، وكأنهما خلقا ليكونا مأواها.

آهة شوق وارتياح انطلقت من حنجرتها وهي ترتجف. وأحست بمشاعرها تتفتح وكأنها بتلات ورود في مستنبت دافىء.

وتلا هذا الإحساس ارتباك وتشوش، فدفنت وجهها في عنقه، وتعاظم ارتجافها ليصبح أكثر وضوحاً.

ـ هل أخفتك؟

لو يعلم.. وردت ببطء: «لا، إنما لم يعانقني رجل هكذا يوماً. حاولت إقناع نفسي بأنني لا أريد أن أختبر هذا الشعور، لكنني لم أنجح».

ـ أتعنين أنك أردت مني أعانقك؟

ـ نعم.

ورفع وجهها إليه، فظنت بايلي أنهما سيتأملان بعضهما إلى الأبد. لكن ماكس اختار تلك اللحظة بالذات ليحتجّ بصوت مرتفع. فقد احتلا منطقته، وهو لا ينظر بعين الرضى إلى من يغزوها.

قال باركر على مضض: «من الأفضل أن نمضي».

ـ أوه.. بالتأكيد..

كانت متوترة لفكرة لقاء عائلة باركر.. وأكثر توتراً مما يمكن أن تعترف. لقد قابلت والدي توم قبل أيام من إعلان الخطوبة، وكانت الظروف مشابهة قليلاً. فقد أعلن توم فجأة أن الوقت أزف لتلتقي عائلته، عندها أدركت بايلي مدى جدية علاقتهما. وكانت عائلة توم لطيفة، لكن بايلي أحست أنها تخضع للتقييم، وجاءت النتيجة ايجابية.

لم تتلفظ بايلي بأكثر من كلمتين بينما كان باركر متوجهاً إلى مدينة «دالي» حيث تعيش عائلته. كان منزله أنيقاً بطابقين من الحجر الأبيض، وله حديقة أمامية كبيرة.

قال باركر من دون تركيز: «ها قد وصلنا».

ووضع يده على كتفها وهو يساعدها على الخروج من سيارته

الرياضية.

ـ هل هو من تصميمك؟

ـ لا.. لكنني أحبه.. لقد ساهم في ولادة الكثير من أفكاري.

انفتح الباب الأمامي وخرج زوجان متوسطا العمر لتحيتهما.. كانت والدة باركر طويلة القامة، مهيبة بشعرها الأبيض الجميل.. أما والده بشعره الرمادي اللون المميز، فأطول من زوجته بقليل.

قال باركر يقدمها، ويده حول خصرها: «أمي، أبي، هذه بايلي يورك.. بايلي، هذه أيڤون وبرادلي دايڤدسون.. والداي».

قال برادلي دايڤدسون بابتسامة دافئة: «أهلاً بك بايلي».

وقالت إيڤون، وهي تتقدم نحوها: «يسرّني أن ألتقي بك».

والتفتت بسرعة إلى باركر قبل أن تضيف: «... أخيراً».

وقال والد باركر يحثهما: «هيا، تفضلا».

وسبقهم، ثم وقف عند الباب وانتظر ليدخل الجميع إلى بهو ضخم، أرضه من الرخام اللماع، باللونين الأبيض والأسود.

اقترح برادلي: «ما رأيكما ببعض الشراب؟».

واختارت بايلي ووالدة باركر الشاي، بينما اختار باركر ووالده العصير.

قال باركر: «سأساعدك أبي».

وترك المرأتان وحدهما. فقادت إيڤون بايلي إلى غرفة الجلوس، المفروشة بالجلد الأبيض والأحمر الصارخ.

وجلست بايلي على أريكة جلدية قائلة: «بيتك جميل».

فتمتمت إيڤون والابتسامة ترتجف على فمها: «شكراً لك».

تساءلت بايلي عما تجده الأم مسلياً؟ ربما هناك ما تجهله... كارثة ما أو ما يشابه.

قالت المرأة المسنة: «سامحيني.. روزان سنايدر وأنا صديقتان عزيزتان. ولقد ذكرتك أمامي منذ أسابيع».

أحست بايلي للحظة بالرعب وهي تتذكر أنها قالت إنها صديقة قديمة للعائلة.

ـ أنا.. أعتقد، أنك تتساءلين لماذا ادعيت أنني أعرف باركر.

ـ لا.. لكن أعترف أن الامر استوقفني لحظات، ولم أتذكر أنني أعرف أحداً من عائلة يورك.

شبكت بايلي يديها في حجرها: «أنت على الأرجح لا تعرفين أحداً».

ـ روزان على حق.. أنت فعلاً شابة فاتنة.

ـ شكراً لك.

ـ لطالما تساءلت عما إذا كان باركر سيقع مجدداً في الحب.. لقد جرحته ماريا كثيراً.. وكان فتياً جداً في أيامها.. فجاءت الصدمة قاسية.

وترددت، لكنها سرعان ما أكملت بحدة: «لكنني أعتقد أن هذا لا يغيّر الواقع».

قررت بايلي تجاهل التلميح إلى أن باركر يحبها.. فأمامها الآن اهتمامات أخرى عليها أن تواجهها.

ـ هل قال لك باركر كيف التقينا؟

وتمنت ألاّ يكون قد ذكر الكثير من التفاصيل عن لقائهما في القطار السريع.

لكنها سمعت باركر يجيب وهو يدخل الغرفة: «بالطبع قلت لها».

وجلس إلى جانبها واضعاً ذراعه حول كتفيها، وأسرت عيناه الضاحكتان عينيها: «لقد ذكرت أن بايلي كاتبة رومانسية واعدة، ألم أفعل يا أمي؟».

ـ أجل فعلت.. وأرجو أن تكون قد قلت لها إنني قارئة متلهفة.

ـ لا.. لم أفعل بعد.

تحركت بايلي بغير ارتياح في مقعدها. لا عجب إذن في أن تجد إيڤون دايڤدسون صعوبة في إخفاء مرحها بعد أن ذكر لها باركر كيف لحقت به.

ودخل والد باركر الغرفة حاملاً صينية الشاي والقهوة، ثم جلس قرب

www.elromancia.com

زوجته، وراح الأربعة يتبادلون أطراف الحديث.

قالت إيفون أخيراً: «سأذهب لأتفقد العشاء».

ـ هل أساعدك عزيزتي؟

ابتسم باركر وقال: «هيا اذهب يا أبي.. سأسلي بايلي ببعض الصور العائلية القديمة».

قالت بايلي ما إن ابتعد والداه: «باركر.. كيف أمكنك هذا؟».

ـ ماذا فعلت؟

ـ قلت لأمك كيف التقينا. لا بد أنها تظنني مجنونة!

لكن باركر ضحك، وأجابها: «الصدق أفضل سياسة».

ـ هذا صحيح من حيث المبدأ. لكن لقائنا كان.. غير تقليدي.

ـ هذا صحيح، لكن يجب أن أعترف أن وصفي ببطل كلاسيكي إطراء لغروري.

تمتمت، وهي تضع ساقاً فوق ساق: «أسحب كل ما قلته».

ضحك باركر بخفة، وكان على وشك أن يقول شيئاً آخر حين دخل والده إلى الغرفة.

قال باركر: «هل تحتاج لأيّ مساعدة يا أبي؟».

فرد برادلي دايڤدسون مبتسماً: «أمك ستتكفل بكل شيء وبكل سرور.. فلن يعلن ابننا كل يوم أنه وجد المرأة التي يريد الزواج بها».

* * *

١٠ ـ الخبر الصاعق

التفتت بايلي إلى باركر غير مصدقة.. ووجدت نفسها لا شعورياً تقف. بدا جو الغرفة خانقاً، ووجدت صعوبة في التنفس.

سأل برادلي ابنه، والكرب ظاهر على وجهه: «هل قلت شيئاً ما كان عليّ أن أقوله؟».

غضب باركر، وقال لأبيه: «من الأفضل أن تتركنا وحدنا يا أبي».

ـ أنا آسف بنيّ.. لم أقصد أن أقول ما لا يعنيني.

ـ لا بأس أبي.

وغادر الأب الغرفة.

سارت بايلي نحو المدفأة الحجرية الضخمة، وأخذت تحدق في الحطب المكوم.

وسمعت باركر يهمس بنعومة من خلفها: «بايلي؟».

أدارها لتواجهه، لكنها فقدت قدرتها على النطق ولم تتمكن سوى من هز رأسها بغضب مذهول.

ـ أعرف أن هذا شكّل نوعاً من.. المفاجأة.

ـ نوع من المفاجأة؟

ـ حسن جداً.. الصدمة.

ـ نحن.. تقابلنا، بالكاد، منذ شهر مضى.

ـ هذا صحيح.. لكننا نعرف بعضنا أفضل من اثنين يخرجان معاً منذ أشهر.

ولم يرحها ألاّ يجادلها: «أليست جرأة منك أن.. تفكر بالخطوبة؟».

لقد أوضحت له منذ التقيا أنها لا تنوي التورط مع رجل. ومن يلومها بعد التجربتين اللتين مرت بهما؟ خطوبة أخرى، مسألة غير مطروحة وإن كان الشخص رائعاً.

ـ أجل.. كانت جرأة.

ـ إذن، كيف تقترح أمراً كهذا؟ الخطوبة كارثة بالنسبة لي! ولن أمر بهذه التجربة مرة أخرى.. لن أفعل!

ـ أعترف أنني أخطأت.

ـ هذا واضح.

وسارت إلى الجهة الأخرى من الغرفة لتقف وراء مقعد جلدي وتتمسك بظهره.

ورفعت إصبعين قبل أن تضيف: «مرتان.. باركر.. مرتان.. وفي المرتين.. خذلاني.. ولن أمر بهذا العذاب مرة أخرى.. لن أستطيع!».

تقدم باركر نحوها ببطء: «دعيني أشرح لك.. منذ أمد طويل ووالداي يريدان تزويجي».

ـ رائع.. هذا يعني أنك استغليت وجودي.. كنت طعماً، هل اخترعت هذه القصة؟ كم أنت شجاع.

بدا واضحاً من ملامح وجهه أنه يجد صعوبة في المحافظة على هدوئه.

ـ أنت مخطئة يا بايلي.

رفعت يديها قائلة: «كل شيء أصبح واضحاً بالنسبة لي».

ـ يبدو أن ما من شيء واضح.

ـ أعتقد أنني كنت ساذجة جداً كي أقع ضحية خططك البغيضة.

ـ خططي البغيضة؟ ألا تظنين أنك تبالغين؟

ـ أنا..؟ إنك تتحدث إلى امرأة نبذت مرتين.. كل رجل عرفته من

قبل تحوّل إلى شرير.

قطع الغرفة بسرعة، ووقف أمامها مباشرة واضعاً يديه على كتفيها.

ـ بايلي.. أنا لا أستغلك.. فكري ما شئت عني. لكن يجب أن تعرفي الحقيقة.. أجل، والداي متشوقان جداً لزواجي. ومع أنني أحب عائلتي، فلن أستغلك، أنت أو أي فتاة أخرى، لأرضي رغباتهما.

عبست بايلي مشككة، لكن عينيه بدتا صادقتين جداً، وقويتين.

قالت: «إذن.. لمَ قلت لهما إنك وجدت المرأة التي تريد أن تتزوجها؟».

التمعت عيناه السوداوان الجميلتان وأجاب: «لأنني وجدتها.. وأنا مغرم بك. وهذا حالي منذ التقينا».

أغمضت بايلي عينيها لتمنع دموعها الساخنة من الانهمار، وهمست: «قد تظن أنك تحبني الآن. لكن هذا لن يدوم، ولم يدم من قبل. وقبل أن تدرك، ستلتقي امرأة أخرى، وستقع في حبها، وتتخلى عني إلى الأبد».

ـ بايلي.. هذا لن يحدث.. سوف ترتدين ذلك الفستان المستخدم قليلاً.. وسوف ترتديه لي.

تابعت بايلي النظر إليه، غير قادرة على الثقة بما تسمعه.

ـ الغلطة التي ارتكبتها هي إخبار أمي. في الواقع، لم تستطع روزان سنايدر الانتظار لتذكرك أمام أمي.. وكل ما أعرفه هو أن أمي أخذت تلاحقني لاصطحبك إلى البيت، كي تتعرف هي وأبي إليك.. وتدخّل والدي، فزاد الطين بلّة واضطررت إلى الاعتراف بأن نواياي جدية.. ومن الطبيعي أن كليهما سرّ بالأمر.

ـ طبعاً.

لكن إحساسها بالتوتر رفض أن يزول.

ـ لم أشأ تسريع الأمور، لكن بما أن أبي فضح الأمر، من الأفضل الاعتراف بالحقيقة الآن.. فنواياي شريفة.

جادلت: «لعلها كذلك الآن.. لكنها لن تدوم».

أخذ باركر نفساً عميقاً وقال: «بل ستدوم. أعرف أنه لم يتح لك الوقت للتفكير بمشاعرك نحوي. وكنت آمل..».

وتردد، مقطباً جبينه: «.. أن نناقش الأمر بعد بضعة أشهر، حين تنضج مشاعرنا نحو بعضنا البعض».

ـ سأكرر ما قلته مرة أخرى.. الخطوبة لن تنجح. على الأقل، ليس معي.

ـ سيكون الأمر مختلفاً هذه المرة.

ـ لو اخترت أن أقع في حب أحد ما يوماً، فسيكون أنت. لكن هذا لن ينجح يا باركر. وأنا آسفة.. حقاً.. لكنني لا أستطيع خوض التجربة من جديد، لا أستطيع.

وأخذت يداها ترتجفان، وعضت على شفتها السفلى.. إنها تحب باركر.. لكنها ببساطة خائفة جداً من أن تعترف بهذا.

ـ بايلي.. هلاّ أصغيت إليّ؟

ردّت بشراسة: «لا.. أنا آسفة.. حقاً آسفة.. لكن الأمور في غير مواقعها هنا.. فأنا أكتب قصصاً رومانسية.. وأنت.. أنت الرجل الذي أستخدمه كنموذج».

عبس باركر وقال: «تعنين أن كل ما بيننا زائف.. والشخص الوحيد الذي استغل الآخر هو أنت».

شدّت بايلي قبضتيها، بحيث حفرت أظافرها عميقاً في راحتيها.. وأخذ العرق البارد يتصبب من جبينها.

ـ أنا لم أدّع يوماً.

وصرّ أسنانه وقال: «فهمت.. إذن، كل ما أستطيعه هو أن أطلب عفوك لأنني كنت وقحاً هكذا».

أحسّت بايلي بكرب فظيع، لكن يجب أن يعتقد أن علاقتهما زائفة، وإلا سيصبح الأمر خطراً.. ومؤلماً.

ـ لا داعي للاعتذار.

وقع قدمي والدة باركر الخافت، وهي تدخل الغرفة، ألهاهما للحظة.

قالت: «العشاء جاهز، وأخشى أن يفسد إذا تأخرنا أكثر».

فأجابها باركر: «نحن قادمان».

لم تعرف بايلي عشاء غير مريح مثل هذا في حياتها، فقد ساد التوتر، وبالكاد تكلم باركر طوال الوجبة. وحملت أمه عبء الحديث بلباقة. وقامت بايلي بما في وسعها، لكن الجو بقي مشحوناً، بحيث أصبحت مهمتها صعبة.

وما إن انتهت الوجبة، حتى أعلن باركر أن الوقت قد حان ليغادرا.. وهزت بايلي رأسها موافقة، ثم شكرت والديه على دعوتهما.

تمتم باركر وهما في السيارة: «ألا تظنين أنك بالغت قليلاً؟».

فردت بحدة: «كان عليّ أن أتحدث، لا سيما وأنك كنت فظاً جداً».

ـ لم أكن فظاً.

ـ حسن جداً.. لم تكن فظاً.. افتقرت إلى اللباقة. ألم تلاحظ مدى انزعاج والدك؟ لم تكن بحاجة إلى تعقيد الامور بتصرفك المعيب.

ـ إنه يستحق ذلك.

ـ هذا فظيع.

ولم يرد عليها باركر.. وبدا مستعجلاً لإيصالها إلى بيتها، وراح يقود سيارته وكأنه يتدرب لسباق ما.

وأدهشها حين أصر على أن يرافقها حتى الباب.. في الليلة السابقة، رافقها إلى الباب أيضاً، وبعد وداع متوتر تركها.. لكنه لم يشأ اليوم ترك الأمور على حالها، بل قال حين فتحت الباب: «ادعيني لأدخل».

ـ أدعوك لتدخل؟

تناهى إليهما سواء ماكس الحزين من وراء الباب وخلا وجهه من أي تعبير وهو يقول: «سأدخل، سواء دعوتني أم لم تفعلي».

وعرفت أنه سينفذ تهديده، فتشنجت معدتها ارتباكاً.

فتحت الباب، وقالت: «حسن جداً».

أضاءت الأنوار، وخلعت معطفها.. وأحس ماكس بحالتها، فاتجه فوراً إلى غرفة النوم.

- سأحضر بعض القهوة.. لكنني لا أتصور أنك ستبقى طويلاً؟

- حضّري القهوة.

أحست بايلي بحاجتها للحركة، وركزت على تحضير القهوة والفناجين.

قالت له: «مهما قلت، لن أبدّل رأيي».

لكنها لم تبدُ هادئة ومسيطرة على أعصابها كما أملت.

تجاهلها باركر الذي بدا عاجزاً عن الوقوف ثابتاً في مكان واحد.. وراح يذرع المطبخ جيئة وذهاباً، ولم يقف إلا حين أعطته بايلي فنجان القهوة الساخن.. كانت بايلي قد رأت باركر غاضباً ومحبطاً.. حتى وهو يشعر بالغيرة، يتصرف بشكل غير منطقي.. لكنها لم تشاهده بهذه الحالة من قبل.

أسندت ظهرها إلى حائط المطبخ، وأمسكت فنجانها بحذر قائلة: «قل ما تريد قوله».

- حسن جداً.. أكره التعامل مع مشاعرك غير المنطقية.

- مشاعري غير المنطقية؟

- اعترفي.. أنت تتصرفين بطريقة غير منطقية لأن رجلاً آخر فسخ خطوبته لك.

- رجلان آخران، لاحظ الفرق.. وهذا يعني أكثر من واحد.. وقبل أن تحكم علي بقسوة يا سيد دايڤدسون، دعني أذكّرك أن كل انسان يتصرف وفقاً لتجربته.. إذا وضعت يدك في النار واحترقت، فلن تلعب قربها مرة أخرى.. أليس كذلك؟ الأمر بهذه البساطة.. كنت غبية بما يكفي لأخاطر بلمس النار مرتين، لكنني لا أرغب في هذا مرة ثالثة.

- ألم يخطر في بالك أبداً أنك لم تحبي بول أو توم؟

أجفلت لعدم توقعها السؤال وردت: «هذا سخيف.. لقد وافقت على

الزواج وما من امرأة تفعل هذا من دون حب».

- وكلاهما وقع في حب غيرك.

- لطف منك أن تذكرني.

- مع ذلك، حين اعترفا لك بالحقيقة، اكتفيت بألمك. إن كنت تحبين، وبعمق، لقمت بكل ما في وسعك للدفاع عن حبك. لكنك لم تفعلي شيئاً.. لا شيء على الإطلاق. فماذا تريدين مني أن أظن؟

- بصراحة، لا يهمني رأيك أبداً.. أنا أعرف مشاعري، وقد أغرمت بهما. فهل يفاجئك أن أرفض الوقوع في الحب مرة أخرى؟ الخطوبة مستحيلة!

- إذن.. تزوجيني فوراً.

تخبط قلب بايلي في صدرها، ثم غاص إلى الأسفل جثة هامدة.

- أنا.. لا أظن أنني سمعتك جيداً.

- لقد سمعت.. الخطوبة ترعبك. وأعترف بأن هذرك وجيه.. لكن يجب ألاّ تسمحي لهذا بأن يتحكّم ببقية حياتك.

- أتظن أن تجاوز الخطوبة والتوجه إلى الكنيسة فوراً سيهدىء مخاوفي؟

- رددت أنك ترفضين المرور بتجربة الخطوبة مرة أخرى.. وأستطيع فهم سبب ترددك.. «رينو» لا تبعد سوى ساعتين.

ونظر إلى ساعته، قبل أن يضيف: «ويمكن أن نتزوج في مثل هذا الوقت في الغد».

- آه..

وترددت الكلمات في رأسها، لكنها لم تخرج بفكرة مفهومة.

ونظر إليها باركر مترقباً: «حسناً؟».

- أنا.. نحن.. نتزوج.. فجأة؟ لا أعتقد هذا يا باركر.. يا لها من شجاعة أن تقترح هذا، لكنها فكرة مستحيلة.

- لماذا؟ يبدو لي الحل منطقياً.

www.elromancia.com

- وهل فكرت بالجوانب الأخرى للموضوع؟ ألم يخطر لك أنني ربما لا أحبك؟

قال بثقة تشابه الغرور: «أنت واقعة في حبي لدرجة أنك لا تستطيعين التفكير بوضوح».

- وكيف عرفت هذا؟

- الأمر سهل.. من الطريقة التي تتصرفين بها. أنت تحاولين جاهدة إقناع نفسك بأنك لا تبالين. وعناقك لي.. في البداية قاومت، ثم تركت حذرك جانباً، ربما، لادراكك أنك تستمتعين بالأمر مثلي. وحين تأوهت عرفت كل ما أردت معرفته.

صبغ الاحمرار الشديد خدي بايلي، وقالت محتجة: «أنا لم أتأوه».

- هل تريدين أن أثبت لك ذلك؟

تراجعت إلى الوراء، وهي تصيح: «لا!».

فارتسمت ابتسامة خبيثة على فمه، وانعكست في عينيه.

وأحست بايلي بقلبها يعتصر وهي تقول: «أنا آسفة باركر.. حقاً آسفة إذا خيّبت أملك.. لكنني لن أخدم أياً منا إن وافقت على هذا».

بدا باركر متجهماً. ونظرت إليه، وهي تدرك أنّ ما من رجل يمكن أن يعيد السلام إلى قلبها، إلاّ باركر.. لكنها تكره عرض الزواج، وهي غير مستعدة بعد.. فأمامها طريق طويل وحدها، قبل أن تشفى من جراحها. واستجمعت شجاعتها لتهمس: «هل يمكننا أن نتروى قليلاً قبل أن نقرر».

لقد طلب منها باركر دايڤدسون الزواج.. باركر دايڤدسون الذي لا سبيل للمقارنة بينه وبين بول أو توم، وهي خائفة بحيث راحت تتلعثم وترتجف وتطلب فرصة للتفكير.

قال: «نتروّى».

ووضع الفنجان من يده، ثم تقدم نحوها وأمسك بوجهها بين يديه الكبيرتين، وراح يداعب خديها بلطف. نظرت بايلي إليه، وقد حبست

أنفاسها، وتملكها ترقب دافىء.

شهقت بحدة حين لمس إصبعه شفتيها، لكنه لم يتوقف بل تابع رسمهما بنعومة، فتصاعدت آهة من أعماق حلقها.. آهة ناعمة خافتة بالكاد تسمع، صرخة صغيرة من الشوق.

سمعها باركر وتجاوب معها، فضمها إليه أكثر ولفها بذراعيه.. ثم فجأة، تركها وابتعد.

استندت بايلي إلى الحائط لتمنع نفسها من الوقوع.. وسألته: «لمَ كان هذا؟».

فضحك ضحكة صغيرة وأجاب: «لتساعدك على اتخاذ قرارك».

***

قالت بايلي متذمرة وهي تجلس على سجادة غرفة الجلوس، وصفحات من قصة جو آن منثورة على الأرض أمامها:

- أسوأ ما في الأمر أنني لم أكتب كلمة واحدة خلال أسبوع كامل.

فردت جو آن غير مصدقة: «أسبوع كامل؟».

- لقد حاولت.. في كل ليلة كنت أجلس أمام الكمبيوتر وأحدق في الشاشة.. هذه أسوأ مرحلة مررت بها، إذ أبدو غير قادرة على اجبار نفسي على العمل.

استندت جو آن إلى الأريكة: «همم.. أولم يمر عليك أسبوع من دون رؤية باركر أيضاً؟ يبدو لي أن الأمرين مرتبطان ببعضهما البعض».

فهمست ببؤس: «أعرف».

لم تذكر جو آن ما لا تعرفه.. فقد استعادت ذكرى تلك الليلة في رأسها عشرات المرات في اليوم.

نفرست جو آن في بايلي وقالت: «لم تخبريني أبداً ما حدث».

ابتلعت بايلي غصة في حلقها وأجابت: «باركر مجرد صديق».

- وللفيل جناحان.

- الامر الوحيد الذي يهمني فيه هو دوره كنموذج لمايكل.

لكنها لم تعرف من تحاول أن تقنع أولاً، جو آن أم نفسها!

لم يتصل بها طوال الأسبوع. كان قد تركها واعداً بإعطائها الوقت الكافي الذي طلبته. وقال لها إن عناقه لها سيساعدها على أن تقرر ما إذا كانت تريده.. تريده؟ لم تكن تعرف أبداً إذا كانت ستتوقف يوماً عن حبه.. لكنها تخشى ألا يدوم حبه لها.. فهو لم يدم مع بول أو توم، ولن يدوم مع باركر.. ومع باركر ستتألم أكثر من دون أمل بالشفاء.

لعل باركر اعتقد أنه يطمئنها حين اقترح التخلي عن الخطوبة والزواج مباشرة. لكن ما لا يفهمه، ولا تستطيع هي شرحه له، هو أن هذا الأمر لن يشكل أي فارق.. فخاتم الزواج ليس الضمانة. في يوم ما، وبطريقة ما، سيكف عن حبها.

وسألتها جو آن: «هل أنت على ما يرام؟».

وتمكّنت بايلي من الحفاظ على ثبات صوتها ومن التظاهر بهدوء لا تشعر به أبداً.

ـ طبعاً أنا على ما يرام. يزعجني فقط عدم تمكّني من الكتابة، لكنها ليست نهاية العالم. أتصور أن الامور ستعود إلى طبيعتها قريباً، وسأعود إلى كتابة ثلاث أو أربع صفحات كل ليلة.

ـ وهل أنت واثقة من هذا؟

لكن بايلي لم تكن واثقة، فاعترفت: «لا».

ـ تذكري إذن أنني هنا إذا ما رغبت بالكلام.

ارتسمت ابتسامة مرتجفة على فم بايلي، وهزت رأسها.

رأت بايلي باركر بعد ثلاثة أيام من هذا الحوار، وكانت تنتظر في محطة القطار وحدها. حين رفعت نظرها رأته يسير في اتجاهها.. في البداية حاولت أن تتجاهل خفقات قلبها المتسارعة، وأن تركز انتباهها بعيداً عنه. لكن هذا بدا مستحيلاً.

وعرفت أنه رآها أيضاً، وإن لم تظهر عليه أي دلالة واضحة.. والتقت عيناه بعينيها وكأنه يتحداها أن تتجاهله. وحين خطت مترددة نحوه،

ظهرت على فمه ابتسامة ساخرة.

ـ مرحباً بايلي.

ـ باركر.. كيف حالك؟

تردد للحظة قبل أن يرد، فكتمت بايلي أنفاسها ترقباً.

ـ رائع.. وماذا عنك؟

فقالت كاذبة: «رائعة».

وأدهشها أن يستطيعا التحدّث والتظاهر هكذا. انتقلت نظرته إلى فمها، فأحست بالتوتر يحيط بهما.. لا بد أن باركر قد أسرع ليلحق بالقطار، إذ بدا شعره مشعثاً قليلاً وأنفاسه ثقيلة.

قال شيئاً ما، لكن كلماته ضاعت مع اقتراب القطار من المحطة، وتجمع الناس. ولم يتكلم أي منهما وهما ينتظران دورهما ليصعدا.

ولحق بها إلى الداخل، لكنه جلس على بُعد خطوات منها.. ونظرت إليه مصدومة، ومحبطة، لأنه لم يجلس إلى جانبها.

كان لديها الكثير لتقوله له. وحتى الساعة، لم تجرؤ على الاعتراف حتى لنفسها كم تفتقده، وكم تتشوق للتحدّث معه. لقد عرفا بعضهما لفترة قصيرة، ومع ذلك بدا وكأنه يملأ حياتها كلها.

لكن يبدو أن هذا لا ينطبق على باركر، فهو قادر بكل بساطة على أن يجلس بعيداً عنها.. رفعت ذقنها وأجبرت نفسها على تأمل اللوحات الإعلانية المعلقة في العربة.

أحست بايلي بعيني باركر عليها.. كان الإحساس قوياً جداً وكأن يده تلامسها، وتمسك وجهها كما فعل في آخر مرة.. ولم تعد تستطيع تحمّل المزيد، فاستدارت والتقت عيونهما، ولامست الرغبة المتشوقة في عينيه قلبها.

واستجمعت إرادتها، لتبعد ناظريها عنه. في النهاية سيجد غيرها، سيجد من يحبها أكثر منها، كانت واثقة من ذلك تمام الثقة.

تأملت كل ما يحيط بها لتبعد ذهنها عن باركر. لكن قوة غريبة بينهما

دفعتها للالتفات إليه مجدداً. . كان ينظر إليها بشكل أثار اضطرابها وسرّع ضربات قلبها. . وهزت جسمها موجة شوق.

راح القطار يبطىء سرعته وشعرت بايلي بالارتياح لأنها وصلت إلى محطتها فهبّت من مكانها واتجهت إلى المخرج.

همس باركر من خلفها: «لا زلت أنتظر، ألم تقرري بعد؟».

أغمضت بايلي عينيها لتستجمع شجاعتها وتقوم بما هو صائب لكليهما. . ثم هزت رأسها نفياً بصمت. . لن تستطيع التحدّث إليه الآن، فهي غير قادرة على اتخاذ قرار منطقي فيما الشوق يعتمل في قلبها، والضعف يدّب في جسمها.

وسارع الجمع إلى الأمام، وخرجت بايلي تاركة إياه خلفها.

اجتمعت جمعية الكاتبات في مساء اليوم التالي، ورحبّت بايلي بالأمر. فلن تضطر هكذا للجلوس أمام شاشة بيضاء لتحدّق فيها لساعات وهي تحاول أن تقنع نفسها بالكتابة. ها هي جو آن تتابع إعادة الكتابة، فيما هي تراوح مكانها.

ألقت المحاضرة كاتبة روايات عاطفية تاريخية تعيش في سان فرانسيسكو، وكان حديثها مليئاً بالنصائح الجيدة. وحاولت بايلي تسجيل الملاحظات، لكنها وبدلاً من ذلك، راحت ترسم أشياء لا معنى لها.

لم تلاحظ إلا في نهاية الجلسة أن رسمها الأخير يشبه خاتمي زواج متشابكين. فهل يحاول لاوعيها أن يوصل لها رسالة ما؟ لكنها لن تشغل بالها بالتخمين.

سألتها جو آن: «هل ستذهبين إلى المقهى لاحتساء القهوة؟».

ـ بالتأكيد. . إنها فكرة جيدة.

وتأملت صديقتها فعرفت على الفور أنّ هناك خطب ما. . بدت جو آن وكأنها تتجنبها طيلة الأمسية، وظنت في البداية أن هذا محض خيال. . لكن التوتر كان جلياً بينهما.

قالت بايلي: «حسن جداً. . ما الأمر. . ماذا هناك؟».

تنهدت جو آن بعمق، وأجابت: «لقد رأيت باركر بعد الظهر. . وأعرف أن الأمر لا يعنيني، وأنني أتصرف بحماقة. لكنه كان مع امرأة أخرى ويبدو لي أن الأمر يتعدّى الصداقة».

ارتجفت ساقا بايلي وهي تنزل السلم، وأحست أن قلبها أصبح كالحجر في صدرها.

ـ لعل المرأة شقيقته. وأنا. . لم أكن أنوي الكلام. . لكنني ظننت أنك قد ترغبين في أن تعرفي.

ابتلعت بايلي عضة في حلقها وأجابت: «بالطبع أرغب».

وكان صوتها حازماً وكاذباً لا يكشف تشوش أفكارها.

ـ وأظن أن باركر شاهدني. . في الواقع أنا متأكدة من ذلك. . بدا وكأنه يريدني أن أراه. كما لم يبذل أي جهد لإخفاء رفيقته، مما يدفعني إلى الظن بأن الأمر بريء.

قالت بايلي كاذبة: «أنا واثقة من هذا».

وارتسمت على فمها ابتسامة قلقة، وتظاهرت بأنها تنظر إلى ساعتها.

ـ يا إلهي. . لم أتصور أن الوقت متأخر إلى هذا الحد. . سأتخلى عن القهوة الليلة وأعود إلى البيت مباشرة.

أمسكت جو آن بذراعها وسألتها: «هل أنت بخير؟».

ـ طبعاً.

لكنها لم تلتفت إلى عيني صديقتها وهي تضيف: «الأمر ليس مهماً. . كما تعلمين. . بالنسبة إلى باركر».

ـ لا يهم؟

ـ أنا لست من النوع الغيور.

لكن معدتها تشنجت، وأخذ رأسها يدور ويداها ترتجفان. . وبعد خمسة عشر دقيقة، دخلت بايلي إلى شقتها، ولم تتوقف لتخلع معطفها. بل توجهت إلى المطبخ مباشرة، والتقطت سماعة الهاتف.

رد باركر بعد ثالث رنة. . وبدا شارد الذهن وهو يقول: «بايلي. .

يسرّني سماع صوتك. كنت أحاول الاتصال بك طوال الأمسية».

ـ كنت في لقاء الكاتبات.. هل أردت أن تقول لي شيئاً؟

ـ في الواقع.. أجل.. يبدو أنك لم تغيري رأيك؟

ـ أنا..

ـ دعينا ننسى مسألة الزواج كلها.. لا داعي للتسرع.. فما رأيك؟

***

١١ ـ متى ستفهمين؟

ردت بايلي: «أوه.. أوافقك الرأي».

ولم يدهشها أن يغير باركر رأيه، فقد توقعت أن يحدث هذا عاجلاً أم آجلاً. ومن الجيد أنه أدرك حقيقة مشاعره في وقت مبكر.

ـ من دون ضغينة إذن؟

أكدت له، وهي ترفع صوتها لتبدو واثقة من نفسها: «أبداً.. فأنا معتادة على هذا، لا تقلق».

ـ تبدين.. مبتهجة.

ـ أنا فعلاً مبتهجة.

وبذلت جهداً لتبدو سعيدة وغير متأثرة.

ـ كيف تسير أحوال الكتابة؟

ـ لا يمكن أن تكون أفضل.

في الواقع، لا يمكن أن تكون أسوأ، لكنها لن تعترف بذلك.. ليس لباركر على أي حال.

قال: «سأراك فيما بعد إذن».

حافظت بايلي على حماس زائف كاد يقتلها، وقالت: «أنا متأكدة من هذا.. لكن لديّ سؤال وحيد؟».

ـ تفضلي.

ـ أين التقيتها؟

ـ هي؟

www.elromancia.com

وتردد قبل أن يقول: «أتعنين ليسا.. نحن نعرف بعضنا منذ زمن طويل».

ـ فهمت.

وكان عليها أن تنهي المكالمة قبل أن تنهار: «أتمنى لك الخير يا باركر».

صمت، وكأنه يفكر في شيء آخر: «وأنت كذلك بايلي».

أعادت بايلي السماعة إلى مكانها، والضعف قد تملّكها وجعلها تتعثر لتصل إلى الكرسي وترتمي عليه. غطت وجهها بيديها، وهي تحاول التقاط أنفاسها. وراح الألم الحارق في معدتها ينتشر حتى وصل إلى أطراف أصابعها، وإلى باطن قدميها.

واستجمعت ارادتها، ثم رفعت رأسها، ووقفت. لقد مرت بهذا من قبل.. مرتين. وهذه المرة لن تكون أصعب من المرتين الأوليين.

على أي حال، هذه المرة ما من خاتم تعيده، وما من ترتيبات عرس تلغيها، أو بطاقات دعوة تحرقها.

لا أحد يعرف بأمر باركر ما عدا جو آن، لذا لن تشعر بالاحراج الشديد.

التغلب على حب باركر يجب أن يكون سريعاً وسهلاً. لكنه لم يكن.

مر الأسبوع ببطء جهنمي.. وأحست بايلي وكأنها تعيش على كوكب آخر.. ظاهرياً، لم يتغير شيء.. ومع ذلك بدا لها وكأن العالم يبتعد عن محوره. كانت تقصد عملها كل صباح، وتناقش أمر الشخصيات والحبكة مع جو آن، وتعمل ثماني ساعات في اليوم بمثابرة شيطانية.

بدت وكأنها تسيطر على الوضع، لكن حياتها في الواقع كانت تمرّ أمامها في حركة بطيئة، وكأنها مجرد مشاهدة.

ولا بد أن هذه الحالة ظهرت في كتاباتها. فقد اتصلت جو آن بعد أن أعطتها بايلي القصة بيومين، ولم تستطع بايلي إخفاء إثارتها.

ـ هل أنهيت القراءة؟

إذا أعجبت القصة جو آن، فسترسلها بايلي فوراً بالبريد إلى باولا أولبرايت، رئيسة التحرير التي طلبت رؤيتها مرة أخرى.

ـ أود أن أمر بك لنناقش بضع نقاط. فهل لديك الوقت؟

الوقت هو كل ما تملكه بايلي، وبوفرة.. لم تكن قد أدركت الأهمية التي وصلها إليها باركر في حياتها، أو كم استطاع أن يطرد الفراغ منها بسرعة.. أما الفراغ العميق الذي تركه، فقد بدا من الصعب ملأه. وراحت تكتب حتى تشعر بالإرهاق، لكنها لم تكن تجد إلى النوم سبيلاً فتجلس في غرفة الجلوس وهي تحتضن ماكس.

قالت جو آن: «ضعي إبريق القهوة، وسأحضر بعد بضع دقائق».

ردت بايلي: «عظيم.. أنا بانتظارك».

ثم قطبت.. يا الله، إذا ما وصلت إلى مثل هذا النقص في الابداع بعد أسبوع واحد من فراق باركر، فهي بالتأكيد تكره التفكير في مدى التفاهة التي ستصل إليها بعد شهر.

وصلت جو آن إلى منزل بايلي بعد خمس عشرة دقيقة، وهي تتأبط مخطوطة بايلي.

قالت بايلي بصوت معذّب: «لم تعجبك..».

ولم تكن تعابير وجه صديقتها يوماً أكثر وضوحاً.

ردت جو آن: «الأمر ليس كذلك بالضبط».

ووضعت القصة على الطاولة ثم جلست في المقعد الوثير.

ـ وما هي المشكلة هذه المرة؟

ـ جانيس.

ـ جانيس؟

وكبتت بايلي رغبتها في الجدال، فقد عملت جاهدة لتعيد صياغة «لك إلى الأبد».

ـ ظننت أن مايكل هو المشكلة.

ـ هذا صحيح في النسخة الأصلية، ولقد أعدت صياغة شخصيته

بشكل جميل. . لكن جانيس بدت. . أكره قول هذا. . ضعيفة جداً.

ـ ضعيفة؟ جانيس ليست ضعيفة! إنها قوية ومستقلة و. .

ـ . . غبية وضعيفة الإرادة. ويفقد القارىء تعاطفه معها في منتصف الطريق. لقد تصرفت كإنسان آلي مع مايكل.

وجدت بايلي صعوبة في كبت احتجاجها، لكنها تثق بوجهات نظر جو آن. وتقييمها للقصة سابقاً، كان صحيحاً.

قالت وهي تجاهد لإبقاء صوتها عادياً غير عاطفي: «أعطني مثلاً».

ـ كل شيء تغير بعد مشهد الحفلة الموسيقية.

قالت بايلي تجادلها: «كان باركر أحمق حقيقياً. . ويستحق كل ما قالته وفعلته».

ـ باركر؟

فصححت بايلي: «مايكل. . تعرفين من أعني!».

ـ فعلاً. . عرفت.

خلال الأسبوع الفائت، قامت جو آن بعدة محاولات لذكر باركر عفوياً في الحديث، لكن بايلي رفضت ببساطة أن تناقش أمره.

وتابعت جو آن: «تصرف مايكل بشيء من التسلّط. لكن القارىء مستعد لأن يسامحه، لأنه يعرف أنه اكتشف حقيقة مشاعره نحو جانيس. لقد أحس بالغيرة حين رقصت مع رجل آخر مما شكّل صدمة حقيقية له. . تصرف كالأحمق فعلاً، لكنني أفهم دوافعه ومستعدة لأن أسامحه».

فسألت بايلي بعدوانية: «أيّ أنّ القارىء مستعد لتقبّل مثل هذا التصرف من البطل وليس من البطلة؟».

ردت جو آن بدهشة: «هذا ليس كل شيء. في النسخة الأصلية، بدت جانيس قوية وشجاعة، دافئة ومستقلة. ولا يمكن للقارىء إلاّ أن يعجب بها ويتعاطف معها».

رفعت بايلي صوتها تسأل: «وماذا تغير إذن؟».

هزت جو آن كتفيها وردت: «أتمنى أن أعرف ماذا حدث لجانيس،

كل ما أستطيع قوله هو أن التغيير بدأ بعد مشهد حفلة البوب. منذ تلك اللحظة، بدأت أواجه مشكلة في التعرف إليها. لم أفهم سبب تقبلها كل ما يقوله مايكل ويفعله، وكأنها فقدت معنوياتها. . ومع نهاية الكتاب، كرهتها فعلاً. أردت أن أمسكها من كتفيها وأهزها».

أحست بايلي وكأنها ستبكي: «إذن. . لقد عدنا إلى نقطة الصفر. أعتقد أنني سأعتاد على هذا».

قالت جو آن بتفهم: «نصيحتي أن تضعي القصة جانباً لبضعة أسابيع. ألم تقولي لي إن لديك فكرة قصة أخرى؟».

هزت بايلي رأسها إيجاباً. . لكن هذا كان قبل. . قبل أن تصرف طاقتها في العيش من يوم إلى آخر. . وقبل أن تبدأ بالادعاء بأن حياتها طبيعية فيما الألم يكاد يقعدها. . وقبل أن تفقد الأمل. .

وسألت: «وماذا سيحصل بعد وضعها جانباً؟».

فقالت جو آن تنصحها: «سيعطيك هذا بُعد نظر. انظري إلى جانيس، وانظري إليها حقاً. . هل تستحق رجلاً رائعاً مثل مايكل؟ لقد قمت بعمل رائع عند كتابة شخصيته».

وغني عن القول، أن باركر كان مصدر إلهامها.

ـ بكلمات أخرى، لم تكن جانيس مثيرة للشفقة؟

هزت جو آن رأسها آسفة: «هذا ما أخشاه. . لكن تذكري أن هذا رأيي الخاص. . وقد يقرأ شخص آخر القصة ويشعر أن جانيس بطلة رائعة. . وقد تحتاجين إلى رأي كاتبات أخريات. أنا لا أنصد ألاّ أشجعك يا بايلي، حقاً لا أنصد».

ـ أعرف هذا.

ـ وأنا صادقة معك لأنك صديقتي.

اعترفت بايلي ببطء: «وهذا ما كنت أريده».

من تحاول أن تخدع؟ قد تصبح كاتبة مشهورة بقدر ما يحتمل أن تصبح زوجة. .

كررت جو آن: «أنا لا أريد ألاّ أشجعك».

ـ لو كنت أفتش عن الاطراء، لأعطيت القصة لأمي.

ضحكت جو آن بخفة، ثم نظرت إلى ساعتها، قائلة: «يجب أن أسرع.. من المفترض أن أمر لاصطحاب دان من الكاراج، فالشاحنة الصغيرة تصدر أصواتاً كدبابة عسكرية.. وإذا كان لديك أيّ أسئلة اتصلي بي فيما بعد».

ـ سأفعل.

وسبقتها إلى الباب ثم فتحته بينما جو آن تحمل حقيبتها ومعطفها.. وتوقفت جو آن، وقد بدا عليها القلق: «أنت لست متكدرة حول هذا.. أليس كذلك؟».

قالت بايلي: «قليلاً.. حسن جداً.. كثيراً. لكن هذا جزء من عملية التعلم. وإذا اضطررت إلى إعادة كتابة هذه القصة مئة مرة قبل أن تصبح ممتازة، فسأفعل.. الكتابة ليست لضعفاء القلب».

ـ لقد فهمت هذا جيداً.

كانت جو آن قد نصحتها بأن تضع القصة جانباً، لكن ما إن خرجت، حتى بدأت بايلي تتصفح المخطوطة، وتقلّب صفحاتها بحذر.

كانت ملاحظات جو آن في الهوامش ثمينة.. ومؤلمة. واهتمت بايلي بشكل خاص بالتعليقات التي تلت مشهد حفلة الرقص. ولم يلزمها وقت طويل لتقارن هذا المشهد بما يماثله في حياتها الحقيقية.. أمسيتها مع باركر.

إنها تتصرف كإنسان آلي مع مايكل، هذا ما قالته جو آن. ووافقتها بايلي الرأيّ وهي تقرأ الفصول التالية. بدا وكأن بطلتها فقدت رغبتها في فرص شخصيتها، وفي الحياة، فاستسلمت.. وماتت.

وسألها قلبها: أليس هذا ما فعلته أنت؟

لكن بايلي تجاهلته. لقد توقفت عن الإصغاء إلى هذا الجزء العميق فيها، بعد أن أدركت مدى الألم الذي يمكن أن يلحق بها.

«في نهاية الكتاب، كرهتها فعلاً» وعاد صدى كلمات جو آن وكأنه دويّ الرعد في رأسها.. شخصيتا جانيس وبايلي متشابكتان بحيث لم تعد تعرف أين تتوقف إحداهما لتبدأ الأخرى.

«بدت لي جانيس.. ضعيفة جداً».

قاومت بايلي رغبتها في أن تغطي أذنيها لتبعد كلمات جو آن، وبذلت جهدها لتمنع نفسها من أن تصرخ: «ستكونين دون حول أو قوة أيضاً، لو أنّ ثوب عرسك الذي لم يستخدم في خزانتك».

وحين لم تعد بايلي قادرة على تحمل الأصوات، التقطت حقيبتها وسترتها وهربت. أيّ شيء أفضل من الإصغاء إلى الاتهامات التي تتردد كالصدى في رأسها.. وبدت الشقة معادية وضيقة، حتى عينا ماكس الخضراوان بدتا وكأنهما تعكسان أسئلة قلبها.

كانت السماء مكفهرة رمادية تناسب مزاج بايلي. وراحت تهيم على وجهها من دون هدى إلى أن وجدت نفسها قرب محطة القطار.. وبدأ قلبها يخفق فجأة.. ووبخت نفسها لبصيص الأمل الذي لاح لها. ما هي فرص لقاء باركر بعد ظهر يوم سبت؟ معدومة، فهي لم تره منذ أكثر من أسبوع ولا بدّ أنه يستقل سيارته كي يتجنبها.

باركر.

وتصاعد الألم الذي حاولت لبضعة أيام أن تبقيه خامداً.. وتجمعت الدموع في عينيها.. فتابعت السير بخطوات متصلبة سريعة وكأنها على عجلة من أمرها.. مقصدها كان الأمان، ولكنها لن تجده بسهولة، وأحياناً كانت تتساءل عما إذا ستجده يوماً.

الرجال يقعون في حبها بسهولة، لكنهم يتخلصون من هذا الحب من دون جهد. والأسوأ من هذا كله، هو أن امرأة أخرى تحل مكانها دائماً. امرأة يحبونها أكثر منها.. بول وتوم، والآن باركر.

سارت بايلي لأميال.. ولم تتفاجأ حين وجدت نفسها في الشارع الذي يسكنه باركر، وكان قد أشار إليه وهما يمران به ليلة الحفلة

الموسيقية.. كانت المساكن في الجوار حديثة، ومكلفة، وجميلة، تروق للعينين. ولن يدهشها أن تكتشف أن باركر هو المسؤول عن تصميم المباني. فبالرغم من أن الحديث مع والديه كان متوتراً، إلا أن والدته لم تتردد في ذكر انجازات ابنها المتعددة. وبدا أن باركر لم يتحمس لكلام أمه، لكن بايلي أحست أنها تفتخر بالرجل الذي تحبه.

الرجل الذي تحبه.

وفجأة، توقفت بايلي، وأغمضت عينيها وشدت قبضتيها، فهي لا تحب باركر. ولو وقعت في الحب مجدداً فلن تغرم برجل متقلب لا يستحق الثقة، مثل باركر دايڤدسون، الذي يقع في الحب ثم يتخلى عمن يحب بلمح البصر.

أنت تحبينه أيتها الغبية.. والآن ماذا ستفعلين؟

جلّ ما تريده هو أن تتوقف هذه الأسئلة.. أن تدعها وشأنها.. أن تتركها مع بؤسها.. وحيدة مع ألمها وأفكارها.

تعاظم الغضب في داخل بايلي، غضب وليد شعور غريب عجزت عن السيطرة عليه. ومن دون أن تفكر بعواقب عملها، دخلت الردهة الرئيسية للمجمع السكني.. فتقدم الحارس منها، وقال بأدب: «مساء الخير».

تمكنت بايلي من أن تبتسم، وردّت: «مرحباً».

وبعد أن أدركت أنه ينتظر، أضافت: «منزل السيد دايڤدسون.. من فضلك».

كان صوتها هادئاً ومن دون حياة. سوف يسويان المسألة الآن. ولن يقف في وجهها لا حارس باب، ولا حارس أمني.

ـ هل لي أن أسأل من يريده؟

ردت بثقة: «بايلي يورك».

ـ أرجو أن تنتظري هنا.

ولم يغب سوى لهنيهة: «طلب السيد باركر أن تصعدي فوراً إلى شقته رقم 204».

ـ شكراً لك.

ولم تتراجع مع وصول المصعد إلى الطابق الثاني. وفتح باركر الباب على الفور، ولم تنتظر بايلي دعوته للدخول، بل توجهت إلى الداخل، متجاهلة المنظر الرائع والأثاث التقليدي المصنوع من الخشب اللماع والقماش الفاخر.

بدا مندهشاً لرؤيتها: «بايلي».

وقفت وسط الغرفة، ويديها على خصرها، وحدّقت فيه بعينين يتطاير منهما الغضب والسخط.

ـ لا تناديني.. أريد أن أعرف من هي ليسا.. وأريد أن أعرف الآن.

نظر باركر إليها مشدوهاً وكأنها فقدت عقلها.

فدارت من حوله وهي تقول: «لا تنظر إلي هكذا».

استدار ببطء، وهو لا يزال يحدق فيها، فأضافت: «لا داعي للوقوف هكذا، فاغراً فمك.. إنه سؤال بسيط».

ـ ماذا تفعلين هنا؟

ـ وماذا يبدو لك؟

ـ بصراحة.. لست واثقاً.

ـ جئت لأعرف بالضبط أي نوع من الرجال أنت.

وبدا لها ردها جيداً، لا سيّما وأن نبرتها كانت نبرة تحدّي ساخر، ولا بد أنها ستسمع رداً.

ـ أي نوع من الرجال أنا؟ وهل يعني هذا أنني مضطر إلى المرور بين صفي محاربين مستعدين لجلدي؟

ولم تكن بايلي في مزاج لتقبل المزاح.

ـ ربما.

أزاحت يداً عن خصرها ولوحت بها قائلة: «أريدك أن تعرف أن جانيس دُمّرت وأنا أضع اللوم عليك شخصياً».

ـ من؟

ـ جانيس.. شخصية قصتي، «لك إلى الأبد». لقد أصبحت ضعيفة الشخصية، خاضعة، ومطيعة، والقراءة عنها أشبه.. أشبه بالفانيلا بدلاً من أن تكون كالشوكولا الشهي.

ـ لكنني مولع بالفانيلا.

نظرت بايلي إليه بغضب: «أنا من سيتكلم هنا».

رفع يديه قائلاً: «آسف».

ـ يجب أن تكون آسفاً.. أي نوع من الرجال أنت بالضبط؟

ـ أعتقد أنه سبق وطرحت هذا السؤال.

استدارت بايلي لتنظر إليه عابسة، فتمتم: «آسف.. لقد نسيت أنك من سيتكلم هنا».

ـ في لحظة تدّعي أنك تحبني.. حتى أنك تريد الزواج مني..

وارتجف صوتها وهي تضيف: «وفي التالية تتورط مع امرأة اسمها ليسا وتريد قطع علاقتنا.. حسن جداً أعلمك يا سيد أنني أرفض السماح لك بأن تتلاعب بقلبي.. لقد طلبت مني الزواج».

صمتت بايلي حين رأت الابتسامة ترتسم على فمه وسألت: «هل يسليك هذا النقاش؟».

ـ قليلاً.

لوحت بيدها قائلة: «أرجو أن تطلعني على النكتة».

ـ ليسا هي زوجة أخي.

لم تفهم كلماته على الفور.

ـ ماذا؟

ـ إنها زوجة أخي.

انهارت بايلي على مقعد.. وبقيت مشوشة للحظة، ثم حاولت استجماع أفكارها.

ـ أنت تحب زوجة أخيك؟

بدت الصدمة في صوته وهو يجيب: «لا.. فأنا أحبك أنت».

ـ أنا لا أفهمك تماماً.

ـ هذا ما لاحظته.. وإلا..

ـ وإلاّ ماذا؟

ـ وإلا لكنت الآن بين ذراعي، أو تحاولين الانتقام مني.

قطبت.. بالكاد تأمل: «من الأفضل أن توضح كلامك».

ـ أحبك يا بايلي. ولم أعرف كم سيطول بك الوقت لتكتشفي حبك لي.. كنت غارقة في الماضي..

فقاطعته قائلة: «ولي عذري».

ـ ولك عذرك.. على أي حال طلبت منك الزواج.

ذكرته: «في الواقع، والدك هو الذي تكلم».

ـ هذا صحيح.. ومن دون أن أطلب منه ذلك لكنه سؤال كنت على استعداد لأن أسأله..

ـ لكن..

ـ لكن، لم أكن أعرف حقيقة شعورك نحوي.

ـ أرجو عفوك؟

سألها بلطف: «هل وقعت في حبي أنا أم في حب مايكل؟».

ـ لا أظن أنني أفهم.

ـ برأيي، إن أحببتني فعلاً لفعلت كل ما في وسعك لاستعادتي.

ـ أستعيدك؟ أنا آسفة باركر.. لكنني ما زلت لا أفهم.

ـ حسن جداً.. لنعد إلى الوراء.. حين أعلن بول أنه وقع في حب امرأة أخرى ويريد فسخ الخطوبة.. ماذا فعلت؟

ـ تركت الجامعة وتسجلت في كلية التجارة.

ـ وماذا عن توم؟

ـ انتقلت إلى سان فرانسيسكو.

ـ هذه وجهة نظري بالضبط.

وضاعت بايلي في مكان ما بين بول وتوم.

www.elromancia.com

- وما هي وجهة نظرك بالضبط؟

تردد باركر، ثم نظر مباشرة إلى عينيها، وقال ببساطة: «أردتك أن تحبيني بما يكفي لتقاتلي من أجلي.. ولا تقلقي.. ليسا وأنا لسنا.. وأكرر لسنا على علاقة».

- أردت إيهامي فقط؟

اعترف كارهاً: «أجل.. فهي تقرأ الروايات الرومانسية أيضاً، ويبدو أن نساء كثيرات يفعلن. وكنت أخبرها عن علاقتنا، ففكرت باستخدام «امرأة أخرى» كما يحدث في بعض القصص العاطفية».

- يا لك من مخادع معدوم الضمير.

- تحمليني بضع دقائق بعد.. هل هذا ممكن؟

- حسن جداً.

- حين فسخ بول وتوم خطوبتهما لك. لم تفعلي شيئاً لإقناعهما بحبك، بل تقبلت الأمر وخرجت من حياتيهما.

- وماذا بعد؟

- أردت منك أن تحبيني كثيراً، لكنك استسلمت. كان عليك أن تضعي كبرياءك اللعينة جانباً وتواجهيني.

- هل كنت تتطلع إلى مصارعة حرة في الوحل بيني وبين ليسا؟

بدا مذعوراً للفكرة: «لا! أردت فقط إثارتك بما يكفي لتأتي إلي. فما الذي أخرك؟ بدأت أفقد شجاعتي».

وهز رأسه فقالت: «ستفقد أكثر شجاعتك إذا استخدمت هذه الخدعة مرة أخرى.. باركر دايڤدسون».

وأضاءت وجهه ابتسامة متسلطة بددت آلامها وشكوكها.. وفتح ذراعيه لها، فهرعت بايلي إلى أحضانه، ودفنت وجهها في صدره.

تمتمت: «يجب أن أكون غاضبة منك».

- عانقيني أولاً.. ثم اغضبي.

وأسرتها ذراعاه بشوق شديد.. وتمكن في لحظة واحدة من أن

يعوّض عن أيام وليالي طويلة قضتها وحيدة. وحين تركها أخيراً، كانت مقطوعة الأنفاس.

همست، تلتمس رده: «هل تحبني حقاً؟».

وارتجفت شفتها السفلى، فرد هامساً، وهو يبتسم لها: «أحبك حقاً.. وبما يكفي لعمرين».

- اثنان فقط؟

وأمسكت يده رأسها بلطف: «أربع على الأقل».

وعانقها مجدداً، ثم تركها فجأة: «والآن.. ماذا كنت تقولين عن جانيس؟ ما خطبها؟».

ارتسمت ابتسامة ناعمة على وجه بايلي، وأجابت:

- في الواقع، يمكن لعرس وشهر عسل طويل أن يشفياها.

الخاتمة

توقفت بايلي لتقرأ الاعلان على واجهة المكتبة، الذي يشير إلى موعد توقيع كتابين لمؤلفتين محليتين.

وسألتها جو آن: «ما هو شعورك وأنت تقرأين اسمك؟».

ـ لعلك اعتدت هذا.. لكنني أشعر.. أشعر..

وترددت بايلي، ومررت يدها على بطنها المنتفخ.

ـ.. شعوري يماثل ما أحسست به حين قال لي الطبيب إني حامل.

مازحتها جو آن: «يؤثر هذا على الجهاز العصبي.. أليس كذلك؟ ثم ماذا تعنين بأنني معتادة على كل هذا؟ لقد نشرت كتابين وأنت واحد».

عرفتهما كارولين درايز صاحبة المكتبة حين دخلتا، وسارعت إلى تحيتهما بابتسامة دافئة مرحبة.

ـ كم أنا مسرورة لمجيئكما معاً.. لقد أثرتما الاهتمام.

وقادتهما إلى طاولة فرش عليها غطاء مخرم وكرسيان. كان هناك عدد من النساء اللواتي ينتظرن بصبر، ويتطلعن شوقاً للقاء جو آن وبايلي.

عملتا بسرعة لساعة تقريباً، وانضم إلى قراء الروايات الرومانسية أفراد من العائلة والأصدقاء، وكاتبات أخريات مررن بالمكتبة ليتمنين لهما الخير.

كانت بايلي تتحدث إلى امرأة تكبرها سناً، حين مر باركر ودان، زوج جو آن، أمام الطاولة. وكانوا قد اتفقوا على تناول العشاء معاً بعد جلسة

التوقيع للاحتفال. فقد وقعت جو آن مؤخراً عقداً لقصتين، وباعت بايلي لتوها قصتها الثانية، كما أنهى باركر رسوم بيتهما الجديد. وسيبدأ البناء بعد شهر، لينتهي مع ولادة الطفل إذا حالفهما الحظ.

كانت المرأة المسنة تقول لبايلي: «ما أحببته في قصة «لك إلى الأبد» هو مايكل.. ذلك المشهد الذي يأخذ فيه البطلة بين ذراعيه ليقول لها إنه تعب من الألعاب الطفولية وإنه يحبها... كان كافياً ليسرق قلبي».

قالت بايلي وهي تتأمل زوجها: «وسرق قلبي أيضاً».

سألت المرأة: «أتعتقدين أن هناك رجال مثله في هذا العالم؟ لقد تطلقت منذ سنوات، وأنا الآن متقاعدة.. حسن جداً.. لا مانع عندي من أن ألتقي شخصاً مثله».

قالت بايلي ونظراتها لا تفارق زوجها: «قد يدهشك كم هناك أبطال من حولنا.. إنهم يركبون قطار الأنفاق السريع، ويأكلون سندويشات، ويقعون في الحب.. مثلك ومثلي».

فردت المعلمة بمرح: «إذن.. هناك أمل.. أنوي أن أقضي وقتاً ممتعاً وأنا أفتش».

وابتسمت ثم أضافت: «لهذا استمتع بقراءة القصص الرومانسية كثيراً، إنها تشجعني وتسليني.. وتدفعني إلى الايمان بالحب، حتى للمرة الثانية».

وتدخل باركر بهدوء: «أو للمرة الثالثة».

فضحكت بايلي.. لن تجادله في هذا!

***